

رواية أدبية مصرية تاريخية عصرية اجتماعية

تبحث فى أمور كثيرة من شئون حياتنا العائليه والاجتماعية

بقلم محمد حبيب مصطفى



تطلب من المكتبه الملوكيه بباب الخلق نمرة ٣٠٨ بمصر

رواية

جنون الحب

رواية أدبية مصريه تاريخية عصرية اجتماعية

تبحث في أمور كثيره من شئون حياتنا العائلية والاجتماعية

بقلم

محمد افندى حبيب



بشارع محمد على بدرب العوالم نمرة ١٨ أمام الكتبخانه بمصر

وبشارع الصنادقيه بجوار الازهر الشريف بمصر

المقدمه

هذه الروايه من الروايات المصدوقه . سامية الخيال متينة الوضع . سلسلة الاسلوب . تختلف كل الاختلاف عن مثيلتها من الروايات التي مج الشعب تلاوتها .. وكفاها تميزاً انها حصلت في عصر جديد وفي بلاد مصريه بين ذلك الشعب الهادىء الذي يقدس ابطاله . ويعرف للضيف والنزيل . واجب الاكرام والتبجيل

وان من ادرك معاني هذه الرواية وما ترمي اليه من المقاصد الشريفة . وفهم مغازيها وعظاتها . وما تحوى من المجون والدعابة وسبيل الحرية الممقوته عرف انها من غير شك نبراس يسير في طريق الاصلاح . وتعرف كل فرد واجبه المطلوب منه

فالى أبناء وادي النيل السعيد . وممالك الشرق عامة أقدم هذه الرواية عساهم يجدونها وفق مرغوبهم فيشكرون صنيعي والسلام

محمد حبيب

الفصل الاول

الأصدقاء الثلاثة

في صباح يوم الجمعه ٦ يناير سنه ١٩١١ اجتمع بميدان الخازندار بمصر ثلاثة شبان تدل هيئتهم على انهم من أبناء الاسر الكريمة مرتدين ملابسهم الافرنجيه وكل منهم وضع معطفه فوق كتفه ووقفوا على افريز الشارع يداعبون بعضهم بعضا . ويضحكون ويقهقهون حتي وصل الترام نمره ١ الذاهب الى جهة مصر القديمة . فشارع قصر النيل فميدان باب اللوق فميدان الازهار . فميدان الاسماعيليه منعطفا الي الجنوب حيث شارع مصر القديمه . ولما وصل الى فم الخليج قال احد الاصدقاء — ليس امامنا الا محطة واحده . ولما وصلوا امام الكوبري في محطة ماري جرجس نزلوا من قاطرة الترام وساروا في طريق الجيزه ومن هناك اخذوا يتمايلون . ويتضاحكون ويتسامرون حتى وصلوا الي كبري الجيزه . ولكنهم لم يذهبوا في طريق الكوبري . بل انعطفوا الى الشمال وساروا في طريق ضيق بين المزروعات حتى وصلوا الي جسر النيل وهناك أبصروا قاربا صغيرا لا يسع اكثر من ثمانيه أشخاص . وعليه غطاء من قماش ابيض يستر من فيه عن أعين الناظرين

وما كادوا يظهرون على الجسر حتى هب لملاقاتهم : رجلا ربع القوام . قوي العضل وانحنى امامهم مسلما وقال — مرحبا مرحبا بكم يا بكوات

فتقدم منه احدهم وقال — كيف حالك ياعم فرغل

فتقدم منه وانحنى امامه مقبلا يده وقال — بانفاسك يافوزي بك على احسن حال ؛ وانتم بال

فقال فوزى بك ـ هل تأخر ن الهوانم الى الآن ؟

أجاب ـ لقد حضر البربرى الصغير وقال لي انهن سيحضرن . حوالى الساعه الحاديه عشر

فقال مدحت بك وهو ينظر فى ساعته ـ حسنا نحن الآن في الساعة العاشرة و نصف

فقال عزيز بك ـ لا بأس انصب السقالة ياريس فرغل وهيا بنا نجلس فى القارب بدل من الوقوف على الجسر فى الهواء والبرد

فقال فوزي بك . انت دائما مثل العجائز ياعزيز بك اتنعنش كده . وسيبك من الصحه ، وسيبك من كلام الحكما . خليه بلدي . . . شوف الريس فرغل المتعرض للبرد والحر والشرد كيف از صحته زى البمب

فقال عزيز بك ـ ولكن الاعتناء بالصحة أمر واجب وفعلا

•

نزل الشبان الثلاثة فى القارب وطلب مدحت بك من الريس فرغل ان يأتيهم ببعض عيدان من القصب للتزرع علي مقربة من الجسر واعطاه قطعة نقود من فيئة الخمسة قروش . واخذوا يمتصون القصب ويضحكون ويهللون وهم في سرور وابتهاج

وبينما هم كذلك اقبل نحو القارب ثلاث آنسات كأنهن الاقمار أو كأنهن الحور هربن من رضوان واتين الى هذا المكان . فلما رآهم الريس فرغل قال اللهم صلى على النبي ثم صفق على يديه وقال — نهارنا لزهر زى اللبن

ووقف بجانب السقاله يعين الفتيات على الصعود الى القارب

الفصل الثانى

عشاق وأحباب

ولما صار الفتيات الثلاثة فى القارب هال لهن الفتيان تهليلا كثيرا وانعطف كل واحد الى ناحيه فجلست بجانبه فتاة . فقال فوزى بك انلم بالقارب . ودعنا نتنزه على النيل فرفع الريس السقالة واخذ يجدف بمجدافيه فسار القارب يتهادى على النيل فاستولى علي الجميع الطرب وكانما سحرتهم مناظر النيل . فأخذوا في الغناء بما جاء من لهوهم

يشجون الوجد يطوينا الزمن ‏ وترى مصر بما فيها فتن

بهجة الدنيا بها وهي المنى ‏ كل شيء في ثرى مصر حسن

قد لهونا بجمال النيل في ‏ صفو عيش حيث نرعاها سنن

واتخذنا مصر دارا للهوى ‏ ليس للحب سوى مصر وطن

بلد قد خيم الامن بـه ‏ ورأي المقدار حنا فاطمأن

ويح نفسي بـعدها الجهد على ‏ ان تطيق الصبر في حمل المحن

كلما روع قومي طارق ‏ حل قلبي شجن بعد شجن

أيها الرهط الذي ودعني ‏ وتواري مسرعا لم يتأن

والذي جهده الجوى . . والذي ‏ كاد يفني الروح في اثر البدن

أدركوني قبـل أن تذهب بي ‏ غشية الموت بعطف أو بمن

واذا لم تجدوا ثوب الرضا ‏ فاقتلوا الصد باثواب الكفن

وكانوا يعنون بصوت شجي تذهب به الريح على شاطيء النيل فتنام الامواج [illegible] على الشاطيء وقد استولى عليهم الطرب . واسكرهم هذا الانشاد وأخذ الفتيات يرددن الالحان . والشبان يتجاوبون بين ترجيع الصوت . ونغمة الغنـاء . وكأنهم غابوا عن صوابهم . . وادركوا انفسهم وهم يمرون بزورقهم تحت كوبري قصر النيل . ومن هناك انعطفوا الى الشاطيء الغربي حيث مناظر الحدائق والمنتزهات

ورسى بهم القارب فنزلوا منه الى البر وكل منهم أمسك بيد صاحبته ودلجوا الحدائق بعد ان قالوا لصاحبهم الريس فرغل جهز لنا الغداء عندك في القارب .

واقترب منه فوزى بك ممسكا بيد صاحبته زهيه هانم وأخرج له جنيها ذهبيا وقال — استحضر لنا طعاما وشرابا من الذى بالك فيه بهذا . . . ولما ابصر عزيز بك ماصنعه صديقه فوزي بك . امسك بيد صاحبته عطيات هانم وأخرج من محفظته جنيها وقال الريس فرغل وهذا ايضا ولما ابصرهما مدحت بك اقترب مع حبيبته إسعاد هانم وقدم للريس جنيها وقال وهذا ايضا

فقبل الريس الارض امامهم وقال — ستجدون كل شيء وضتق . . . د . . لي شرط اني منه ما اعود بالطعام واجهز لكم المائدة . صبر لكم بصدارتي هذه تحضرون باسرع مايمكنكم كما احضر العسكر عند سماع البورى

[illegible] مدحت بك . فهو نجل سعادة عبدالرؤوف باشا الجزار ولما كان والده مسرفا فقد تعين قيما على املاك ابيه . وهو فتى متعلم احرز شهادة البكالوريا سنة ١٩٠٨ . وترك المدارس ملتفتا الي ادارة أملاكه الواسعة . ويقطن في الشارع العباسي وسبب معرفة هؤلاء الاصدقاء ببعضهم انهم كانوا جميعا تلاميذ في مدرسة

العباسية . ونقلوا منها بعد أن حازوا الشهادة الابتدائية الى المدرسة الخديوية بدرب الجماميز . فنالوا جميعا قصب السبق . ونالوا البكالوريا فى سنة واحده . وكانت عرى الصداقة متأصلة بينهما لدرجة انهم كانوا لا يستطيعون الصبر عن لقاء بعضهم يوما واحدا وكانت من شدة الصداقة المتوطدة بينهم انهم كانوا يبوحون بالاسرار لبعضهم ولا يخفى احدهم سراً عن الاخرين

وبسبب الجيرة والمصاحبة بين العائلات تعرف فوزى بك بالآنسة زهيه هانم ابنة راضي بك القاطن بجواره وكان هو يزور والدها ووالدها يزوره والعائلة تزور بعضها . لهذا تمكنت المحبة بين فوزى بك وزهيه هانم ولم يكن أحد يعلم بهذه الصداقة الا صاحبيه عزيز بك ومدحت بك

وكذلك كانت الموده بين عزيز بك وعطيات هانم وهما أيضا من جهة واحده ووالدها عبد الرزاق بك أما مدحت بك فكانت معرفته باسعاد هانم من طريق المصادفة : وهي من سكان الظاهر . ووالدها محمد بك

وكان كل من هؤلاء الاصدقاء الثلاثة باح لاصدقائه بحبه وعرف كل منهما الاخر بصاحبته . ولذلك صاروا يخرجون الى الخلاء كل يوم جمعة فيقضون طول النهار فى مداعبة وموده وهناء

كما حصل في هذا اليوم واجتمعوا في هذه الحدائق

ولما انفردوا بالحديقة . جلس فوزي بك مع حبيبته زهيه هانم ودارت بينهما المحادثة الآتية

قال فوزي بك — هل تدبرت في الامر وهل في امكانك أن تكوني زوجتي ؟

اجابت — نعم . ولقد عاهدت الله أن أكون لك مخلصة واعيش معك بقية العمر لاأنظر الى رجل غيرك .

فمد فوزي بك يده اليها وقال — وكوني على ثقة ياسيدتي بأني سأكون لك أوفى الاوفياء . ولا أنظر الى غانية غيرك ثم تركا هذا الموضوع واخذا في حديث آخر لانهما كانا على قاب قوسين أو أدنى من الزواج

اما عزيز بك فانه لما انفرد بصاحبته عطيات هانم قال لها — تعلمين ياعطيات شدة ميلي اليك . وانني لاأستطيع بحال من الاحوال أن أنظر الي غيرك ولذلك صممت على زواجي بك

فقالت عطيات — وهذا من غير شك قصدي وقصدوالدتي ومتي جئت وخطبتني لاتجد غير القبول . وبذلك تنتهي مسألة الزواج .

فقال — سأتمم هذا الموضوع في هذا الاسبوع

اما مدحت بك فقال لصاحبته — ماذا ترين في أمر الزواج ياسعاد . ؟ اجابت سعاد — ثق ياصاحبي باني لا أتزوج بأحد غيرك ولا أعيش الا معك مهما كانت الظروف

فارتاع مدحت بك ونظر الى صاحبته وقال ـ ماذا تقولين ياسعاد ؟ هل خطبك أحد ؟ أم أنت مخطوبة من قبل

فقالت ـ لا وحقك ياعزيزي لم أكن مخطوبة لاحد . ولم يخطبني أحد

فقال ـ ولماذا اذاً هذا الكلام ؟ .

أجابت — اني انصحك الحقيقة فاعلم يامدحت ان ابن عمي شفيع تخرج من مدرسة الحقوق هذا العام . وقد سمعت من بعض افراد عائلته انه يريد أن يخطبني مني والدي ولكنه لم يتقدم للمدار .

فقال مدحت ـ [illegible] يجب

للاهمال [illegible] يجب [illegible] المكتب السرية واخطبك من والدك حالا

فقالت —هذا واجب

وبالفعل تعاهدا على الزواج ببعضهما. وأقسم كل منهما للآخر يمين الوفاء والاخلاص

وبعد ذلك سمعا صفارة الريس تدعوهم الى تناول الطعام فغادر كل من العاشقين مكانه وساروا جميعا الى القارب حيث يتناولون الطعام

وهناك أكلوا وشربوا ولذوا وطربوا. وعادوا بعد الغذاء الى نزهتهم. ولكنهم كانوا في هذه المرة فقاموا على الحشائش الخضراء وهم في فرح وسرور وجذل وحبور

وفي المساء ركبوا في الزورق فسار بهم الى الضفة الثانية من كوبري قصر النيل ومن هناك صعدوا الى الميدان. واخذوا الترام الموصل الى مصر. ومن هناك أخذوا ترام العباسية فعاد كل منهم الى قصره

الفصل الرابع

زواج الاثنين

وفي اليوم التالي خرج فوزي باشا من قصره وسار الى قصر والد ... هانم. وكان قد كاشف والدته ان تذهب قبله حيث تفاتح والدتها بأمر الزواج

وما كاد سمع والد زهيه هانم بخبر هذا الزواج السعيد حتى اجاب بالسمع والطاعة. واعطى اقرب ميعاد لليلة الزفاف

وكذلك كان من أمر عزيز بك فأنه ماكاد يفاتح والد خطيبته بالزواج حتى اجاب بالقبول

اما مدحت بك فانه ذهب الى والد خطيبته ليخطبها منه فوجده مسافرا في عزبته بناحية المنوفيه وقد غادر مصر صباح هذا اليوم

فساد على أمل انه سيلاقيه ويخطبها منه في يوم من الايام .

وماذا عليه مادام يحب الفتاة وتحبه.

وطالت غيبة والد اسعاد حتى ضبح مدحت بك وصار في حالة من شواغل البال لاعهد له بها

وبعد اسبوع سمع ليما تم من قبول صاحبيه بالزواج كل يعرفها . وبعد ايام قلائل وصلته رقاع الدعوى . فكانت ليلة زفاف فوزى بك ليلة الجمعه ـ وعزيز بك ليلة الاثنين وبما يفرضه عليه واجب الصداقه ذهب الى صاحبيه حيث قضى مايجب عليه نحوهما

اماهما فقد ساءهما جداً تعطيل أمر هذا الزواج . وكيف ان والد اسعاد غادر مصر شهرا كاملا في عزبته

وكان مدحت بك شديد الشغف بفاتنة لبه اسعاد هانم .

وتمني لو اتاحت له الحظوظ قسطا من الهناء فيتزوج بحبيبته

ويعيشان معا في راحة بال

غير ان الحظوظ المقيمة ابت الا ان يعذب هذا الفتى وتعذب معه الفتاة من غير ذنب جنياه

غير ان هنالك عاطفة أخرى كانت تلطف من حبه الا وهي مقابلته كل يوم عن خلبت لبه فيجلسان معاً بضع ساعات يتطارحان الغرام . ويتناجيان الحب . وكانا وهما على هذا الحال على أحر من الجمر ليتسمعا من والدها القول الفصل

وبعد زواج صاحبيه فوزي وعزيز شعر ان واجبات الزوجية جعلتهما لا يظهران كما كانا في أول الامر . وكأن هذا الواجب المقدس قد ألهاهما عن مقابلته التي كانت كل يوم . فجعل همه في مقابلة اسماء فكانا يتقابلان كل يوم ويسيران في شوارع العباسية او يركبان الى العتبة الخضراء . واحيانا يأخذان ترام مصر الجديدة فيتنزهان هناك . ويعودان معا فيفترقان عند مدخل الشارع الموصل لمنزلها

ففي ذات يوم كانت اسماء عائدة مع مدحت بك من نزهة طويلة . وكانا تحادثان في أمور شتى لاهيان عما حولهما وكان من سوء حظهما ان ابن عمها شفيق كان قد حضر الى منزل عمه فلم يجد ابنة عمه اسماء هناك . وكان يهيم بها حبا . ويجن جنونا . ولما خرج من المنزل وجاء الى آخر الشارع رآها تتكلم مع شاب غريب

لا يعرفه فوقف بعيداً عنهما وراهما وقد تحدثا طويلا . . . بعد ان انتهيا من كلامهما سارت هي الى منزل والدها اما الفتى . . . د لى منزله وكان شفيع أفندي هذا من الشبان الاذكياء ومدا . . . ج في فن المحاماه . وحضر في هذا اليوم ليخطب اسماد من والدها زوجة له . وهو يعتقد ان عمه لا يبخل عليه بها

وكم كانت غيرته عظيمه عندما رآها مع فتى . . . لا عهد له به فكتم غيظه وسار في أثر الفتي حتى رآه يدخل منزله . . . ه مدحت بك ابن عبد الرؤوف باشا الجزار الغنى المشهور

الفصل الخامس

الخطيب المفاجيء

وفى صباح اليوم التالي ذهب شفيع أفندي . . . لى محطة مصر ومنها اخذ قطار السكة الحديد الذاهب الى . . . (مديرية المنوفيه) ومن هناك ذهب تواً الى عزبة عمه . . . بك والد اسماد وكم كانت دهشة محمد بك عظيمة جداً . . . ابن اخيه قادما اليه من غير علم فظن بحصول مصاب جلل . . . كالأخوة وقال له — ماذا حصل يابنى . هل طرأ فى العائلة ما يشغل البال ؟

اجاب شفيع لا ياوالدي . فقط قد حضرت . . . لان

غيابك عن مصر اوجد عندنا مشغولية عظيمة

فقال محمد بك — ان وجودى هنا ناشيء عن كثرة اشغال العزبة وخصوصاً فاني قد اشتريت في هذه الايام ستين فداناً من الاطيان الكائنة بجانب مزرعتنا . ولقد حسنت تساهيل واستوليت عليها بطريق الشفعة . وضممتها الي العزبه . وهذا ولا شك يستوجب اهتماما كبيراً . وخصوصاً فاني كتبت الى مصلحة المساحة . لارسال المهندس . لعمل الخارطة اللازمة للعزبة وصرفت مصاريف جمه ...... هكذا تطلب الحياة يا بني واني أحمد الله على ذلك

فأخذ شفيع يثنى على عمه وهمته بما جادت به قريحته من الالفاظ الظريفه المبتكره وقال والحمد لله ان كل أفراد العائلة على نشاط عظيم فشكره عمه على هذا الثناء العاطر وقال له — واني أطلب من الله لك التوفيق في حياتك الجديدة . ومستقبلك السعيد وكتم شفيع أمر الزواج ريثما تحين الفرصة المناسبة

ولما جاء الليل وانفرد عمه فتح الحديث بقوله — تعلم يا عماه انني تخرجت من مدرسة الحقوق هذا العام . وأريد ان أندمج في صفوف المحاماة . هذه المهنه الشريفة في مصر

فقال له عمه — ولماذا لا تطرق ابواب الحكومة فتخدم أمتك

من جهة القضاء ؟

اجاب — انني لا أريد النيابة . ولا ارغب في القضاء وانما أريد ان اكون حراً أفعل كيف أشاء

فقال محمد بك — افعل يابني ما تراه صوابا . انى اعهدك شهما واعهد فيك النباهه بكل معانيها

وعاد شفيع الى كلامه فقال — وفعلا اتخذت مكتبا للمحاماه وجعلت فيه الوكلاء والكتاب ولا يخفاك ياوالدى انى شاب وفى مقتبل العمر . ولا أريد أبدا بحال من الاحوال ان أسير فى طريق الطيش الذى يسلكه الشبان عادة ولذلك عزمت ان احفظ دني وشبابي وصحتي بالزواج . ولقد فكرت في هذا الامر فلم توافقني غير ابنة عمى (اسعاد هانم) فلهذا حضرت اليك خاطبا لجد فتاة راغباً

فظهرت لوائح السرور على وجه محمد بك وقال — هذا جل قصدى وغاية مرامى . وكم اكون سعيداً اذ أرى ابنتي تزف على ابن أخى تأكد يا بني ان اسعاد زوجتك منذ الآن

فقال شفيع — الحمد لله لقد بلغت أول غاية تؤهلني الى السعى في معترك الحياة

ثم قام بادب وقبل يد عمه شاكرا ممتنا وعاد الى مصر وهو فرح

وطروب والدنيا لا تسعه من شدة سروره

ولما وصل مصر توجه فوراً الى منزل عمه وهناك قابل زوجة عمه وابنتها اسعاد فاخبرهما انه كان مشغول البال جدا من جهة عمه ولذلك ذهب اليه فى العزبه فرآه قد اشترى سبعين فدانا وضمها الى املاكه وانه فى صحة جيده . وسيحضر الى مصر بعد اسبوع ثم ودع وانصرف على ان يعود اليهم صباح غد

وأدركت اسعاد عاقبة هذه الزياره فانكد قلبها حزنا . لانها كانت لا تجهل ان شفيع بن عمها سيكون عقبه كأداء فى سبيل سعدها فباتت تلك الليلة مسهدة الجفن تندب حظها العاثر . وقامت فى الصباح وهى في حالة لا تستطيع معها النهوض من فراشها غير انها قامت متوعكة ولما رأتها والدتها طلبت منها ان تبادر فتأخذ شربة أو تستدعى الطبيب للكشف عليها

فقالت اسعاد — لا لزوم لذلك يا اماه وهذا عارض بسيط لا يلبث ان يزول . ثم ذهبت الى سريرها

وحضر شفيق في تلك الساعة ولما علم بمرض ابنة عمه انزعجت نفسه عليها وذهب اليها مسرعا فألقاها راقدة في السرير . وعلى وجهها دلائل الاصفرار والذبول . فسألها عن صحتها وجلس على كرسى بجانب سريرها وأخذ يجس نبضها . وما زال بجانبها يواسيها ويحدثها

حتى نهضت من السرير . وجاء وقت الغذاء فقامت معه الى غرفة المائدة . فجلس بجانب بعضهما وتناولا مع افراد الاسرة الغذاء وعادا بعد ذلك الى غرفة الاستقبال فمكثا ساعة في حديث ومداعبة وكان من دهاء شفيع لم يخبرها عما تم الاتفاق عليه بينه وبين عمه من أمر الزواج

وكأنه سحرها بكلامه اذ طلب منها ان تذهب معه يتنزهان برهة فتشم الهواء لتعود اليها صحتها . فأطاعت عن كره وكأنها خجلت ان ترفض طلبه وما هي غير دقائق معدودات حتى كانت اسعاد قد ارتدت مئزرها ووضعت على وجهها برقعها الابيض الحريري الشفاف فصارت في أبدع شكل وأحسن هندام فوقف امامها ابن عمها وهو كالمأخوذ من جمالها الباهر . وحسنها الظاهر . وشكلها البديع الفتان . كأنما سحرته رقتها . وأصابت قلبه بسهام عينيها ثم خرجا من القصر معا ولسان حاله يقول

يامن رمقت مهجتي من قوس مقلتها باسهم قاتلات برؤها عسر
نعيم وصلك جنات مزخرفة ونار هجرك لا تبقى ولا تذر

ولما صارا على أول الشارع أوقف أول عربة صادفتهما فركباها وقال للحوذي . الى لونابارك

فأخذ السائق يلهب الخيل بصوته تاركاً المنان فاخترقت

شارع العباسيه فشارع المأمون متجهة الى الشرق تقصد مصر الجديده وبعد نصف ساعة قفت بهما امام وادى القمر . ذلك الملهى العجيب الذي يلذ للعشاق . ولما دفعا ثمن التذاكر وولجا باب الملعب انحنى لهما عامل الباب احتراما . فدخلا مدفوعان بما على الوجاهه والترحيب وسارا في ميدان الملعب فطافا حول البركة ثم ذهبا الى الوابور المسحور وكم كان اغتباطهما عظيما عندما صارا يصعدان وهما فيه الى قمة عاليه ثم ينحدر بهما الى اسفل الأرض ويعود فينحني بهما شمالا ثم ينعطف يمينا . وهكذا حتى انتهى ذلك الدور فذهبا الى المركب

وهناك صعدا على سلم مرتفع ووقفا على سطح كوبري صنع خصيصا للمركب اذا بالمركب الصغيره (القارب) وقد صعدت الى اعلا فنزلا بها ثم انحدرت الى أسفل بشكل يخطف القلوب ويهلع النفوس . ثم هوت بهما المركب في البركه ولم يصابا باذى فنزلا من هذا القارب وسارا الى الكوبرى المتحرك ثم الكوبري المسحور ثم الى مرآت . وبعد ان انتهيا من هذه الالعاب عادا الى منتزة الملاعب . وهناك جلسا على مقعد كبير بجوار بعضهما تحت شجره كبيره متدلية الأغصان

الفصل السادس

المسامره

وجلس شفيع بجانب اسعاد وهو كالمخبول من فرط سروره أو كالفاقد وعيه ولقد توهم أنه فى حلم لذيذ انساه نفسه وكل شيء فى العالم . وأخذ يتأمل محاسن ابنة عمه فوجدها على غاية ما تبتغيه نفسه . فتاة نضرة الشباب فى مقتبل العمر . ممشوقة القد بارزة النهد ذات وجه مستدير كالبدر ليلة تمه وجبين واضح ثم تبين له جمالها ظاهراً فى عينيها الواسعتين وحاجبيها المقرونين . وخديها المتوردتين وشعرها الاسود الحالك المسترسل على كتفيها وظهرها . وقد لفت نظره التفاف عودها واعتدال قامتها . وكانت مستندة على حاجز المقعد لا تبدى حراكا حتى توهمها خيال ملاك هبط اليه من السماء . وخيل اليه وهى على هذا الحال انها فى هذا الصمت الطويل ملكة مهابة تجللت بالوقار . فلبث متأدبا لا يجسر على الكلام ولا يستطيع أن يفاتحها بحرف ثم رآها وقد أخذت تنظر اليه نظرات عميقة حتى شعر ان نظراتها بلغت صميم قلبه — فاعترته رعشة سارة . ونظر الى اسعاد وقال — بماذا تفكرين ياعزيزتي ؟

اجابت افكر في هذه العقول الكبيره . والادمغة العامره —

والانحاح السليمه . التى تخترع كل هذه الاختراعات هـكذا الغرب عرف كيف يسير فى سبيل النجاح . ويصعد على سـلم الارتقاء . وها هو الشرقى وقد وقف امام هذه المفاخر مذهول العقل . ولكن لم يتأثر . ولم يفكر فى ان يكون مثلهم

فقال شفيع — وماذا يفعل الشرقى وخصوصا ابناء مصر أمام أبناء الغرب . . . تقي ياسيدتى انه لان طبيعة بلادنا زراعية وليس فيها مناجم الفحم الذي بواسطته تم كل هذه الاختراعات. ولو كان لارضنا من مناجم الفحم نصيب لادركت اننا كنا نفوق الغرب بفنونتا وصنائعنا

فقالت هذا محال . ومن رابع المستحيلات ان يكون الشرقي فى جدارة الغربى

فقال برلك ياسعاد دعينا من هذا الـكلام لا طائل تحتـه ودعينى اقول لك أيتها الحسناء . انك احسن غادة فى الوجود

فضحكت ضحكة لطيفة مغتصبة وقالت ـ الحمدلله لقد دخلنا فى دور الغزل

فقال — نعم . لان هذه أول مرة شعرت فيها بتأثير الجمـال وصرت اتأكد انك الحسناء الوحيدة التي ظهرت في سماء وجوي ولو قلت لك ان سروري بك لا يعادله سرور لا عجبت كثيرا مما

أقول . . . نعم يا أسعاد يحق لى ان ابتهج واغتبط لانني صرت أشعر بمعنى الحياة بعد ان كان وجودي بغيرك عديم الجدوي ـ وحياتى لا قيمة لها

فانتفضت الفتاة وكأنها أفاقت من ذهولها وقالت له ـ ماذا تقصد بقولك هذا يا شفيع ؟

أجاب لا أقصد شيئا . وأظنك لا تجهلين ما كمن فيك من قوة، قادرة وجمال باهر فتان . سلبانى عقلى وجعلانى عديم القرار

. فنظرت اليه بدهشة وقالت ـــ حذار ياشفيع ان تفاتحني بمثل هذا الكلام . ولكن الذنب لي انا لا لك انت

فقال ـ وعلى أي شيء الذنب . ولماذا اذنب وانت صرت زوجتى . كما صرت لك انا زوجا

فصاحت به ويحك ماذا تقول ؟

أجاب . انا انبهتك الى عزمي على زواجك في القريب العاجل فرآها اضطربت في مكانها . واصفر لونها اصفرارا شديدا حتى صار يضاهي وجه الموتى فأخذ يلاطفها قوله . لماذا ترتاعين من ذكر زواجي بك . . . لذي أحبك وأهواك واعبدك عبادة إنك امامي المرأة الوحيدة التي وجدت فيها حقيقة المرأة بكل معانيها وان عينيك مملوءتان نورا فهما من غير شك يهديان نورهما اللامع

الى قلبى شيء لى سرورا وانتهاء!

فاشاحت عنه بوجهها وقالت . دعني بربك من هذا الكلام في ذلك الوقت النم تقول عنه يفعل الله ما يشاء فامسك بيدها بلطف وقال . ماذا ارى أظنك يا اسعاد لا تودين الاقتران بى . ولا تربطين حياتك بحياة ابن عمك وهو من لحمك ومن دمك

فلم ترد عليه . فركع تحت قدميها وقال — اعلمى يااسعاد انك ابنة عمى . ومن الواجب عليك ان تسمعي قولي . . . لقد خلقت كما تعلمين غنيا . وقد حزت ثروة والدى التي تركها لى . وصرت أغني أفراد العائلة . وأضيف الي هذه السعادة سعادة العلم فصرت من اكابر الرجال ولو شئت لاصبحت في مركز خطير في عالم القضاء . وسأكون لك زوجا وفيا فاكون لك أبا وأخا . وتكوني أما وأختا . ونعيش ما شاء الله ان نعيش . وانت في منتهي درجات السعادة . بل واقسم انك ستحظين باكثر مما تحظى به الاميرات والملكات

فهزت كتفيها باستخفاف ولم تنبت ببنت شفة فقال لها — دعيني اصف لك سعادتنا المقبلة . واصورها لك في أجمل تصوير قبل كل شيء سأشيد لك قصرا فخما على ضفة النيل . تمر بجانبه المراكب والقوارب والسفن وأجعل فيه روشنا على النيل تجرى

تحته المياه فتكونين كفرعون مصر اذ قال (أليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى) وسأجعل ابواب هذا القصر من خشب الصندل وكذلك آثاثاته ومنقولاته . وسأفرشه بالفراش الثمين والبسط الغالية . وسأجعل غرفة رقادك منزأت العيون أبهج منها فاذا اردت فى راحة بهجتين فيها ترقدين على أسرة من ذهب فوقها فرش من الحرير الخالص محشو بريش النعام بين المباطن المزركشه . وتلك الغرفة تطل على حديقة القصر . فينبعث عليك شذا أريجها العطر . ومتى سدل الليل ستوره المظلمة تسطع عليك انوار الكهرباء التى تذرى ببدر فى ضياء . . ومتى رقدت فى وقت الضحيرة وفتحت النوافذ هبت عليك النسمات المتشبعة باريج الازهار فتداعب كرانيش سريرك الحريريه بهبوبها اللطيف المنعش فتخالينا مراوح تجاب الك الهناء

كوني معي فلا أجعلك تمشين الا على أبسطة من حرير خالص . وأزينك بمختلف الجواهر والعقود ذات الاحجار الكريمة والبسك الثياب الموشحة بالذهب والاستبرق على آخر طرز من الازياء الحديثة . . كوني معي يا اسماء . وانا وحقك أجعل الذهب تحت قدميك مكدسا . واجعل بين يديك من مختلف الجواهر ما لا عين رأت . . وستجدين خدما بيض وسود يقدمن لك

مما تشتهين من شرب طهور ، وطعام فاخر . . . واذا اردت الخروج من قصرك الى نزهة تجدين تحت أمرك عربة وفخمة يجرها كريمان من عتاق الخيل الجياد . أو سيارة من آخر طراز تطير بقوة الكهرباء . واذا اردت نزهة فى النيل امددت لك زورقا بخاريا يمخر بك عباب هذ النهر السعيد . نهر النيل المقدس

فضحكت ضحكة مقتضبة وقالت — كن على يقين بانى لاأرغب ان اكون كما ذكرت

فامسك بيدها وقال ثقي ياعزيزتى ان ماقلته لك هو السعادة التي سأقسمها بين يديك فى القريب العاجل - وهذا قليل من كثير مما سأعمله معك

فتحفزت بالنهوض ووقفت على قدميها وقالت لاأريد شيئا من ذلك . فاتخذ لك زوجة غيري تليق بك وبهذا المجد الشامخ

فوقف امامها وقال — على رسلك ياسعاد اجلسي معي برهة نتفاهم فيها معا

فقالت - لقد تفاهمت مع والدى وكفى

ثم خرجت من الملعب لاتلوى على شيء حتى وصلت الى محطة الترام وهو ممها فنزلت فيه حتى وصلت الى قصر والدها بالقاهره

الفصل السابع

مدحت بك

بات مدحت بك تلك الليلة التي قابل فيها حبيبته اسعاد وهو منزعج يري في نومه أحلاما مرعبة . وأوهاما غريبة . وقام في الصباح متوعك المزاج . فاستاء من حالته ولكنه طرد عن مخيلته كل هذه الاوهام . وخرج الى حديقة القصر يتسلى بين الاشجار والازهار وبعد ان مكث مدة طويلة دخل القصر فطلب ما يسد به رمقه من الطعام . وما زال في القصر يتنقل من مكان الي ماكان حتي دقت الساعة [illegible] فذهب الى غرفة زينته فارتدى ثيابه وعزم على الخروج الى قصر [illegible] حبيبته اسعاد فان وجده قد جاء انتهى معه في امر خطوته [illegible] . وان لم يكن [illegible] حضر فانه يتمتع برؤية اسعاد ويوصل [illegible]

وبينما هو [illegible] ليذهب فيها الى منزل محمد بك . [illegible] يك عزيز بك أقبلا عليه وهما يقولان - ايه [illegible] يامدحت انه فين ياشيخ من زمان ماشفناك

فقال لهما اهلا بكما وسهلا - الحمد لله الذي جعلكما تسألان عني . . . انني شديد العتب عليكما لاهمالكما أمري

فقال فريد بك ـ حقيقة نحن مقصران من جهتك وكان الاحرى بك ان تحضر لزيارتنا

وقال عزيز بك . ماذا عملت مع اسماد يامدحت ؟

اجاب مدحت ـ ما صنعت شيئا . واني كنت على أهبة الذهاب اليها الآن . لعلي اجد والدها فاسرع بخطبتها منه

فقال فوزي بك . الحمد لله الذي ساقنا إليك لابد اننا نذهب معك اليه فنتحدث معه جميعا

فقال مدحت ـ الامر لكما . . ولكن قبل ذهابنا يجب ان نجلس برهة . نشرب فيها القهوة معا

فقالا لا لزوم لذلك الآن . لان الامر أهم من المهم وهاهي العربة [illegible]

فنزلوا فيها جميعا وسارت بهم [illegible] الارض نهبا حتى وصلوا الى هناك

ومن محاسن الصدف انهم ما كادوا يسألون عن محمد بك عبد السميع حتى [illegible] الخادم انه قد حضر من [illegible] منذ نصف ساعة . وبينما هم [illegible] امام باب القصر [illegible] على الخادم بطاقاتهم لعرضها على صاحب المنزل نظروا سعاد مقبلة من الشارع وخلفها فتى متأنقا في ملبسه

رأت اسماء الاصدقاء الثلاثة فارتبكت في نفسها وأحست انها تكاد أن تتعثر في أذيالها امامهم من شدة الخجل . ولما علمت ان ابن عمها يتبعها تأثرت من ذلك أشد التأثر ووبخت نفسها على خروجها معه . ولكنها تجلدت وولجت باب القصر كأنها لا تعرف احدا منهم

وجاء شفيع على اثرها ووقف امام الاصدقاء فما ابصر مدحت بك قطب عن حاجبيه . وقال لهم بجفاء ماذا تريدون ياحضرات البكوات ؟

أجابه فوزي بك — اننا نريد سعادة محمد بك

فقال لهم — انه ليس هنا . ولم يحضر من عزبته الى الآن

فقال عزيز بك — لا ياسيدي بل الامر بالعكس لانه قد حضر اليوم واعطينا بطاقات زيارتنا الى الخادم

فقال وهو يشعر انه قد تسرع — لا تؤاخذوني لاني كنت غائبا عن القصر ولم اعلم بحضوره . تفضلوا الجلوس في غرفة الاستقبال

وقال فوزي بك — شكرا لك . اظنك ابن سعادة البيك؟

اجاب — لا ولكني ابن أخيه

ثم أخرج محفظته وقدم لكل منهم ورقة من بطاقة زيارته ولما قرأها مدحت أخذ ينظر الى شفيع بطرف خفي فحصه من

رأسه الي أخمص قدميه

وفى تلك الاثناء عاد الخادم وقال — تفضلوا ان سيدى فى انتظار سعادتكم

فدخل البكوات الثلاثة في نشاط وهيبـه ولما صاروا امام محمد بك . وجدوه رجلا وجيه الشكل . حسن الملامح فسلموا عليه باحترام فسلم عليهم وادناهم منه مرحبا بهم لانه عرف من عنواناتهم . مقامهم السامى ومنزلتهم العالية . وبعد ان جاء الخادم بالقهوة دخل شفيق فسلم على عمه . وجلس على مقربة من الاصدقاء يسمع ويرى . وكأنه أدرك بنباهته ما يقصدون

وبعد ان انتهوا من شرب القهوة قال لهم صاحب المنزل اى شرف تؤهلونى سعادتكم بخدمة أقوم بها أو حاجة انشرف بقضائها

فوقف فوزي بك وقال — يا صاحب السعادة ـ نحن أصدقاء ثلاثه . وكلنا من اصل واحد . وهذا صاحبنا مدحت بك نجل صاحب السعاده عبد الرؤوف باشا . ولقد حضرنا اليك نخطب كريمتك لتكون زوجة له

فأطرق الرجل برأسه الى الارض اطراق الحكيم المفكر ولقد طال صمته حتي شمل المكان رهبة وصار الجميع في صمت رهيب .

تكأن على رؤسهم الطير

ثم رفع رأسه وقال ـ لقد تأخرتم كثيرا عن ميعاد الخطبة لانه قد سبقكم اليها ابن عمها هذا (واشار على شمم افندي) ولقد رضيت به زوجا لها . : واني لشديد الاسف على ردكم هنا شعر مدحت بك ان الدنيا في وجهه صارت أضيق من الخاتم . ثم قاموا وانصرفوا وهم في حيرة ما بعدها حيرة

الفصل الثامن

شؤون وشجون

ولما صاروا في العربة جلس كل منهم في حيـ وهامه فكان مدحت يقدر الحالة التي وصل اليها حظه وكيف يكون مصيره وماذا تعمل اسماد اذا فهمت هذه الحقيقه وعلمت ا ـ حرمت منه الي الابد

اما الصديقان فكانا في ثبات عميق لانهما ادركا ـ حل بصديقهما من جراء حبه لاسماد . وان اسماد لا تكون فى ـ اق مع ابن عمها وهما يعرفان دخائل سرها . واشجان نفسها.

ولما وصلوا الي قصر مدحت دخلوا وهم فى أشد ـ الحزن ولكن عزيز بك نظرا الي مدحت وقال ـ اسمع يامدحت ـ من الرجل

المجنون محمد بك . وسيبك من ابن اخيه تميم . ولا تسأل عنها انها الشطاره وقوة الحيلة والمكيده انك تأخذ اسعاد قبل ان يتمكن والدها من عقد كتابها على ابن عمها . ونحن نجعل الأمر فوضى بيننا ونعقد لك عليها وخلي ابوها يضرب رأسه في الف حائط وامامه جميع محاكم الدنيا

فقال فوزي بك — بل اقول ـ قد قضي الامر والله لقد كنت عازماً ان اقول ذلك ولكن القلوب عند بعضها

وقال مدحت بك — وانا والله كنت عازماً على ذلك

وكان فوزي بك ممن يفهمون الواجب فانتهز فرصة غياب مدحت عنهما لقضاء بعض اللوازم لهما من القصر وقال لصاحبه تعلم يا عزيز بك اننا اذا تركنا مدحت في هذه الليله بلا شك انه يحصل لهما يحصل . وانا ادري الناس باخلاقه

فقال عزيز بك — وماذا نصنع اذا ؟

اجاب لا شيء سوى اننا نأخذه معنا الى الازبكيه حيث نشرب ونسقيه . ونرقص ونلعب حتى [illegible] فيه فتعود الحظوظ . ونزور الملاهي . وندخل الحانات وننازل الانسات ونستدعي أجمل فتاة تنازله عساه يتلهى [illegible] حب اسعاد

فقال سنفعل

وبعد ان عاد مدحت بك . جلسوا معاً يتحدثون في مواضيع شي . وكأن مدحت قد نسي ماحصل هذا اليوم وبينما هم في الحديث قال فوزي — انني مشتاق جداً الي فسحة اتمتع بها بين ارجاء ملاهي مصر

فقال عزيز بك — ومن هذا الذى يمنعك عن غرضك هذا يافوزى ؟

اجاب — لم نكن قد اتفقنا على ذلك من صباح هذا اليوم

اجاب — نعم . ولماذا تمتنع الآن ؟

فقال — لقد منعني مارأيته من كدر صديقي مدحت

فقال عزيز — وماذا حل بمدحت انه اول من يذهب معنا أليس كذلك يامدحت

اجاب — نعم اذهب معكم

فقال فوزى — لقد ظننتك حزين النفس على حبيبتك فسارع عزيز فى رد الجواب قائلا — بحزن ؟ ... ولماذا يحزن . والله ده لو حزن يبقى مجنون

فقال فوزى — ومن ادرانا . فلو على فرض . وقالت اسماء لوالدها انى تحت امرك ياوالدى . وعلى حسب امرك سأتزوج ابن عمي . واعيش معه

فقال مدحت — وانني اقسم لكما انني انبذ حبها نبذ النواة ولا اذكرها بعد ذلك باسان

فقال فوزى — ياك من بطل شجاع . هيا بنا ايها الباسل نرتدى ثياب اولاد بلد . ونزيط هذه الليله . . . وبعد ذلك اخذ كل منهم يستحضر الملابس البلدى التى تليق به . وفعلا صار الثلاثة فى زى اول بلد من ابنائها التجار وساروا على أقدامهم حتى وصلوا الى شارع الظاهر . حيث يسر الترام . فاخذوا الترام الى العتبه الخضراء . ومنها عرجوا الى سور حديقة الازبكيه. ثم ذهبوا الى ناحية سوق الخضار . ومن هناك اتجهوا الى بار كبير ماكاد يرام صاحبه حتي عرفهم فهلل لهم وكبر وبعد ذلك اجلسهم في صالون خاص . وقدم لهم ماطلبوه من المشروب. وما زالوا يشربون حتى شعروا كأنهم فى حاجة الي النزهه فخرجوا من البار بعد ان نقدوا صاحبه قيمة ما شربوه ومن هناك انعطفوا الى ميدان الخازندار ثم انعطفوا الى ناحية وجه البركه فكم من دار دخلوها . ومومس عاكسوها . وفتاة مازحوها . وغانية غالبوها . واخيرا دخلوا داراً كبيرة . وهناك قابلتهم الرئيسة . ففتحت لهم الزجاجات. واحضرت امامهم الغانيات السالبات الفاتنات وقالت — خذوا من طيبات ماعندكم من الاقار انهن كالنواهد الابكار يسلبن العقول ويشتتن

فجلس الاصدقاء على المقاعد متكئون وهم بجمال الآنسات ناظرون . وقد قالوا للدعابه

وقطعوا حبل الاناة. فمال كل واحد الي واحدة مالت نفسه اليها . وانعطف عليها ـ ثم انهما اوهماه بانهما سيذهبان الي حيث يختلي كل واحد منهم بصاحبته وتركاه في الغرفة وخرجا من تلك البقعه يقصد كل منهما قصره . تاركان صاحبهما يتمتع كيف شاء وشاءت له حظوظه وميوله

اما مدحت بك فانه ماكاد ينفرد بصاحبته حتي وجدها كالبدر حسنا . والقضيب غصنا . وحمد الله اذا اوجد له من تقوم بتسليته فيقطع معها ساعات الحظ في هناء وغبطة

الفصل التاسع

مداعبة الحسناء

ولقد كانت هذه الفتاة او (المومس) التي هام بها مدحت بك فتاة جميله . ذات حسن رائع . وعينين ساحرتين . ونظرات خلابة وخدين احمرين وفم جميل أبدع الله رسمه وفم صغير حلو المرشف يغرى باللثم . ينفرج عن لؤلؤ نضد صفين . بين شفتين كالعقيق

يحرج بينها الكوثر . وصدر نهض بما عليه لا ينضمر بالضم . لا ينكيش بالتخميش تفرزه الملاعبه وترجه المداعبه . بخصر نحيل وردف ثقيل

ولقد كانت هذه الفتاة من النساء اللواتي

تفعل نظراتهن فى القلوب الخذانه والعواطف الحساسة وامام مثل هذا الجمال ينذهل العقل . فلا حكمة ولا ثباب وامام هذا المشهد البديع ينجذب القلب شططا . ولا يستطيع باى حال من الاحوال ان يتوشح بالسكينة . ولا يتسربل بالرزانة

وكان الشراب لا يزال مؤثرا في رأس مدحت بك ولكنه لما افاق فى الصباح . ووجد نفسه في احضان هذه الكاعب اخذ ينظر اليها بامعان . ويتأمل محاسنها مستلطفا هذه الشمائل . فرآها وقد اشرق وجهها كالبدر فى الليلة الظلماء فقال لها برفق وطمأنينه — من انت . ومن جاء بي الى هنا

فردت وهي تبتسم ابتسامة خلابة — انت معي من ليلة امس وقد جئت مع اثنين من الاصدقاء . فقال وهو يجيل النظر فيها — آه لقد تذكرت الآن ولقد كنت اعرف اسمك بالامس وقد نسيته اليوم فضحكت ضحكة لطيفه جمعت صنوف الدلال وقالت اسمي — نعمات ... فهل أعجبتك ؟

فقال وهو ينظر اليها نظرات حائرة و قد شعر ان حبها قد تسرب الي قلبه — اني لا أستطيع ان أصف صورتك الحسناء التي خلقت في احسن تكوين . وعلى ما اعتقد انه ليس بين النساء فتاة تشبهك او تضاهيك

فاستولى الخجل على هذه الفتاة وقالت — انك قد تغاليت في الوصف . وذهبت الى ابعد مدي الاطناب

ثم ضحكت ضحكه لطيفه كانت لها رنة لطيفه في أذنه ثم ضمته اليها

وداما في أحضان بعضهما الى وقت الضحى فقام الى ثيابه فأخرج من محفظته ورقة من ذات العشرة جنيهات وقال يا نعمات — هذه ورقة من ذات العشر جنيهات خذيها ودعي بعض من يستحضر لنا طعاما للغداء

ولم يغب الخادم غير برهة وجيزة ثم عاد يحمل آنية كبيره عليها ما لذ وطاب من أصناف الطعام والشراب . فاقتربا الى الخوان بكرسيهما وأخذا يتناولان طعامهما بشهية ليس بعدها شهيه . ومكثا معا في حديث ومداعبه الى الغروب وباتا تلك الليلة معا . واستمرا كذلك مدة ثلاثة أيام . . وفي الليلة الثالثة حضر درزى بك . وعزيز بك . ولما وجداه لم يبارح المنزل . ولم

يغادر الحسناء نسمات . علما انها قد ملكت قلبه . واستولت على عواطفه فضحكا منه . وجلسا معه يتحادثان . وبعد ذلك طلبا منه ان يعود الى القصر لان اسرته في ارتباك شديد من جهته .

فانعطف الى نسمات وقال - انني مضطر الي مبارحتك اليوم وثقي أيتها الحسناء اننا تحابينا . واننا سنكون هكذا في حياتنا المقبله

ثم ودعها على أمل ان يعود في الليلة المقبلة . وعاد الى قصره مع أصدقائه

ولقد صدق فوزي بك وعزيز بك في قولهما له ان أسرته في اشد حالات المشغولية عليه غير ان فوزي بك هدأ عواطفهم وقال لهم انه عنده وفي الحال ذهب اليه مع صديقه

* * *

واما حبيبته اسعاد فانها بعد ذهاب مدحت بك وصديقيه فوزي وعزيز . أدركت ان والدها تدرد خائبا . وانه قد قبل زواجها بابن عمها شفيع . فاستولى عليها الكدر . وشمل الحزن كل نواحي قلبها . ولذلك صممت انها لم تتزوج به مهما كان امره ومهما صنع بها والدها

وبينما هي في هذا التفكير العميق حضر والدها وابن عمها

فقامت اليهما وقبلت يد والدها مهنئة له بالسلامة . وبعدان جلسوا جيما وحضرت والدة اسعاد قال الوالد لزوجته وابنته — لقد حضر يا اسعاد ابن عمك وخطبك مني وهو شاب مستقيم غني متعلم ولذلك فقد وافقته على هذا الزواج وسلمت له فيما طلب

فقالت الوالدة — وهكذا من كمال حظ اسعاد . واني لموافقة لسعادتك تمام الموافقة

فنظر الوالد الى ابنتها وقال — اسمعت يا اسعاد. ماذا تقولين في خطبة ابن عمك لك

فتمتمت بكلام غير مفهوم ثم سكتت لا تبدى ولا تعيد وقالت افعلا ما يمكنكما ان تفعلاه

ثم خرجت من الغرفة لا تلتفت الى احد

فقال شفيع — أظنها لا تريد الزواج بي . ولا ترغب ان تربط حياتها بحياة رجل مثلي

فقال الوالد — ماذا تقول ؟ — ليس في شريعتنا مشاورة البنات في أمر الزواج . انى هنا الفاعل المختار آمر بما اشاء . ولا يخالفني احد في امرى

وقالت الوالدة — ماذا تقولان . هل رأيتما مخالفة . . . هل تريدان ان البنت تتبجح فيكما وتقول لكما قد قبلت زواجه . . .

انها قالت الامر لكما فافعلا ما تراه

فقال الوالد — صدقت — انها متأدبة ولم تقل شيئا

* * *

وفي هذه الساعة تقرر بين الثلاثة ان تكون ليلة العقد وليلة الزفاف معا وحصل الاتفاق على ذلك بعد شهر . ومكث شفيع الي الساعة العاشرة في القصر وبعد ان تناول العشاء مع عمه خرج يريد الذهاب الى قصره

وصدرت أوامر الوالد والوالدة الي اسماد ان لا تخرج من باب القصر . ولا تزور احداً لانها صارت مخطوبة . والمخطوبة لا تخرج بأي حال من الاحوال . ولا يتصرح لها بالذهاب الى بيوت مهما كانت مجاورة

وكان صدور الامر عليها بهذا المنع من أشد الويلات على نفسها وكيف تستطيع ان تصبر عن لقاء مدحت بك وهو الشاب الوحيد الذى احبها واحبته . وتعاهدا على الوفاء والوفاق ضاق صدرها من جراء هذا المنع . واكبرت قيد هذه الحريه وهي كالطائر الفرد لا تستطيع ان تلبث في القفص

الفصل العاشر

العاشق في طي الخفاء

ولما ذهبت الي غرفتها اخذت تستعرض في مخيلتها الحوادث التى مرت عليها . والايام السعيدة التي قضتها مع مدحت بك ذلك الانسان اللطيف المخلوق من عنصر كريم . ومحتد شريف : بل هو ول فتى صادفها في طريقها فعرفها طريق الحب . وسلمت نفسها اليه منقادة الى ذلك بعاطفة اخلاص قويه لا تعرف تكوينها . وتعاهدا على الاخلاص فى الحب . فكان الحب بينهما طاهراً شريفاً

اخذت وهي منفرده فى غرفتها تبكى بكاء الاطفال . وتندب سوء حظها الذي اوقعها فى هذا الحال الذي باتت فيه . ماذا تصنع امام هذا الحادث . وماذا تقول لمدحت . وكيف تعرفه بأمر ابن عمها . وكيف ان والدها قد اتخذها لها زوجا

مكثت طول ليلها لم تنم . ولم يغمض لها جفن الى الصباح ولما استيقظت وجدت نفسها منحطة القوى لا تستطيع النهوض من سريرها فمالت الى الراحة . واستسلمت الى الخيال الذي يشرد بها الى حيث الايام الغابرة . أيام الحب اللذيذه مع حبيبها الذى تحن اليه

ومكثت على ذلك الى الضحي . وادركت والدتها عدم خروجها من غرفة نومها فذهبت اليها فوجدتها ساهمة في فراشها وهي شاحبة اللون

فقالت لها — ماذا حل بك يااسعاد . ولماذا هذا النوم الطويل ؟

فقالت اسعاد — ليس هذا نوم ياماه وانما انا في ارق شديد وأشعر اني متوكعة المزاج

فمكثت عندها برهة ثم خرجت لمراقبة الخدم. واشغال بيتها اما اسعاد فانها مكثت في سريرها طول يومها والليلة الثانية واليوم التالي والليلة الثالثة حتى عليها قلق بال والدتها وقالت لوالدها كيف العمل ان اسعاد مريضة منذ ثلاثة ايام . وانها غير قادرة على النهوض . ولا الخروج من غرفتها

فتوجه اليها في غرفتها وسألها عن صحتها . وطلب منها ان رسل الى الطبيب ليراها

فقالت — لا لزوم لذلك

واستمرت متوكمة مدة عشره ايام فانتابتها حمي عنيفة فارسل والدها الي طبيب فحضر ولما رآها قال — انها مصابة بالحمي — وأخذ يكتب لها الدواء ويقوم لها بالعلاج حتى عادت الى صوابها . وما زال بها حتى نهضت من سريرها وخرجت من غرفتها وفى هذه

الليلة تذكرت حبيبها مدحت فأخذت تسطر له الخطاب الآتى.
عزيزي مدحت بك
لقد أطالت أيام الفراق. وانا في اشدحالات المرض اقاسي ما اقاسي من عذاب وسقام حتى سئمت نفسي وسئمت حياتى . ولقد زاد الحزن احزانا حضور ابن عمي شفيق وقد خطبني من ابى وانتهي الامر بينهما علي الزاج بي . واني من غير شك أصبحت ضحية هذين الرجلين . ولقدعزما على عدم خروجي من المنزل حتى صرت كالاسيره فى غرفتي لا اخرج منها أزورأحداً . هكذاقضت ارادة هذا الوالد
على انه تقرر عقد العقد وليلة الزفاف بعد شهر واحد. انى اكبرت هذه الحالة المقوته ولكني قد تأهبت للعمل فلا يروني ليلة الزفاف الا جثة هامده
انى اريد ان اراك فتدبر فى حيلة نتمكن بها من اللقاء .
وسلام عليك الي ان الاقيك م؟ اسعاد
وماكادت تنتهي من كتابةهذا الخطاب حتى استدعت خادما صغيرا فى خدمتها وقالت له — اني اريد أن ارسلك فى مأموريه وأود ان تقوم بها خير قيام . ومتى قمت بهاوقضيتها أهبك هديه ثمينة . واعطيك نقودا كثيراً . وذلك على شرط ان لا يعلم احد

بما سأعهد به اليك

فقال الخـادم وكان اسمه صالح ـ انى تحت امرك ياسيدتي. وخصوصا فانا خادمك وأنت تعرفين اماتي لك

فقالت حسنا ياصالح ـ خذ هذا ريال قطعتين بعشرات وهذه. قطعة بقرشين صاغ لاجرة الترام .. وهذا جواب يجب ان تذهب به الى قصر عبد الرؤوف باشا وتسلمه الى ابنه مدحت بك . اتعرفه ؟

اجاب الخادم ـ وكيف لا اعرفه وقد خدمت عندهم فى قصرهم مدة سنتين كاملتين

فقالت ـ اذا فاذهب اليه مادمت تعرفه وسلمه هذا الجواب. واحذر أن يرك أحد هناك. كما وانى احذرك ان تخبر اى انسان بامر هذا الجواب ولا بامري معه

فقال لاتخاف ياسيدتي من شيء ـ ثم أخذ الجواب فاخفاه بين طيات ثيابه وسار يقصد طريق الترام وهناك اخذ ترام العباسيه وسار توا الى قصر عبدالرؤوف باشا لايلوى على شيء

وتصادف ان مدحت بك كان وقتئذ في القصر وقد عزم علي الخروج لمقابلة حبيبته نعمات . . . ولما وصل الى باب القصر قابله صالح الخادم واقترب منه باحترام وانحنى امامه وسلمه الكتاب وهو

يقول — هذا كتاب من عند سيدتي اسعاد هانم . وهي تهديك جزيل السلام

فتناول مدحت الكتاب بيد مرتجفة وصار من شدة ما اعتراه لا يعرف كيف يفتحه . ثم فض غلافه وقرأ الكتاب ولما جاء على آخره تنفس الصعداء وقال — الحمد لله. ثم أخذ يتمتم امام الخادم فاصغير كلمات غير مفهومة ولما دخل القصر انعطف الي الغرفه التي يقيم فيها فجلس على مكتب فخم وأخذ يسطر لها ما يأتي

حبيبتي اسعاد هانم

لقد كان لجوابك اللطيف أحسن وقع في نفسي فلقد وصلني وانا في حالة لاأستطيع ان اصفها لك . وأما من جهة انهم حجبوك عني فأنا من غير شك سالب ملعوبا بحيث اجتمع بك كل وقت وبحيث يرونني كل أهل القصر فاحظي بك. وان كانوا في غيهم يعمهون انتظريني في صباح غد سأحضر اليك في ملابس فتاة وهيهات ان يعرفني اي انسان . وسنتكلم كثيراً . ونتحادث في مواضيع شتي وسلامي عليك الى الملتقي القريب ؟ مدحت

ثم نادى على الخادم واعطاه الكتاب وقال له . وصل هذا الى سيدتك يداً في يد . ثم ناوله في يده جنيها مصريا ذهباً وقال وهذا لك ياصالح جزاء خدمتك وامانتك .

فأخذ صالح الكتاب وعاد الى سيدته وهو مبتهج طروب فسلمها الكتاب فاخذته وقرأته ولما وصلت الى آخره اطمئن بالها وقالت — الحمد لله سأراه غدا . ولكن كيف يحضر بهذه الصفة التي يقول عنها . لا شك قد تعدى حدود المجازفة وهذا أمر غير محمود العاقبة . وبانت تلك الليلة تضرب اخماسا في اسداس

وفي صباح اليوم الثاني وقفت تصغي الى كل حركه . وهي واجفة القلب ملوعة النفس

وبينما هي في هذه الحالة من الجزع كان مدحت بك قد ذهب الى منزل مجاور لمنزله وهناك كانت في هذا المنزل امرأة كبيرة هي مربيته (فضائل) وكانت امرأه عاقله رزينة . وما كاد يدخل الدار حتى وقفت في خدمته مرحبة به

ولقد كان مدحت بك فتى ماخط شاربه ولا ظهرت لحيته جميل الوجه حسن التراكيب . يكاد ان يكون ووجهه وجه فتاة في رقتها ووداعتها

وما كاد يصل الي هناك حتي كان خادمه قد استحضر له بقجة ملابس . فأمره بالانصراف ثم أخذ البقجه ودخل غرفة في الدار فيها دولاب كبير بثلاث مرايات فوقف امام ذلك الدولاب وأخذ ينظم هندامه ، فوضع على رأسه شعراً مستعاراً ولبس ملابس

هفتاة حسناء على آخر طراز من الموده الحديثه ثم ارتدى ملاءه
بديعة التفصيل ووضع على وجهه نقابا ابيض . فصار فتاة مائسة
القد موردة الخد . ليس مثلها حسناء

وما هى غير بضع دقائق حتى كان الخادم كان قد احضر عربة
فنزل فيها وهو بهذا الزي النسائي . حتى وصل الى قصر محمد بك
ولما رأته اسماء عرفته فهرولت نحوه مسلمة عليه ولم يتوهم فيه
احد الا انه فتاة حسناء

*
* *

اعتنق العاشقان عناقا طويلا : وقبل بعضهما تقبيلا كثيرا وأمام
كل الناس . بحيث لم ينكر عليهما احد ذلك ثم جلسا معا في غرفة
الاستقبال . يتسامران ويتشاكيان ومكثا معا نحو ساعتين كانت
فيهما نفسية هذين العاشقين تعدت حدودا لا مزيد عليها فقال
مدحت — كيف فى برهة وجيزه تتغير الحال عكس الحال ؟
ويتبدل الهناء الي شقاء

قالت — اذا كنت تجهل ذلك فانا احيطك بالخبر اليقين
الا فاعلم ان شفيع ذهب من تلقاء نفسه الى عمه وقدم اليه خطوبته
فأطاعه ولما حضرت اليه أنت ردك لسبق الوعد الذي وعد به ابن
أخيه

فقال مدحت — ولماذا لا تعارضين أنت فى امر زواجك به

فقالت — ليس فى شريعة عشيرتنا ان نخالف ولى أمرنا

وكانت تتكلم بلهجة صادقة ليس فيها رياء فقال لها مدحت

ألا يمكن بحال من الاحوال ان نكون معا ؟

فصمتت صمت طهر وعفاف ولم تجب فأخذ يدها بين يديه

واجتذبها اليه فوضعت رأسها على صدره وأخذت تبكى بكاء الاطفال

فأخذ الفتى يلاطفها ويداعب شعرها الساجى . واخيراً رفع

رأسها ونظر عينيها المملوءتين حبا ودموعا فزفر زفرة شديده وقال

إسعاد هل استطيع ان أفضى اليك بما يخالج ضميرى ؟

فقالت قل ما تشاء يامدحت تجدني صاغيه اليك

فقال — تأكدى بانك لن تكونى ابداً زوجة شفيع وسأكون

أنا زوجك مهما كان الحال

فقالت والدموع جولة فى مآقيها — آه يامدحت — لا

تطيل عذابى بهذا الكلام . . . اتركنى بربك ودعنى انساك ما

دمت مقدورة لغيرك

فقال دعينا من هذا الكلام . وهيا بنا نعيش معا وكوني

على يقين من ان حياتك ستكون اجمل حياة على الارض . ولا

يستطيع ان يكدر صفو عيشنا مكدر . فنظرت اليه نظرة عطف

وحنان وقالت — تأكد يا مدحت باني سأتزوج هذا الشاب واني في ذت الوقت سأتزوج القبر . لاني أحبك ولكني لا أستطيع أبدا ان اخرج علي تقاليد العشيره . وعادات قومي تنص على ذلك : . نعم اذهب .واضرب صفحا عني . واتخذلك زوجة سواي

فوقف الفتى حائرا مضطربا و نظر الي اسعاد وقال — لقد اكبرت فيك هذه الشهامة فيلله انت أيتها الفتاة الطاهره العفيفه . انك والله من منبت شريف . وعنصر كريم لانك أبيت ان ترافقيني لئلا تقصري في واجب الشرف الذى يدفع بك الى الموت والقبر . . .

ولكن فاتك أمر واحد وهو انني لو شئت لنبذت كل عاطفه تجول في صدرى . واطيع هوى نفسي تلك الطاعة العمياء فأختطفك من هنا رغما عنك .. ولكني لست أبدا من هؤلاء الرجل . لان الله خلقني أعرف واجب الشرف . وأحمي دمار الفضيلة

ثم صمت الاثنان صمتا طويلا قطع حبله مدحت بقوله — كونى على ثقة بانك لى ، ولا يحاول نزعك مني أحد

فقالت — لاتجعل نفسك ضحية الغرور . ولاتجعلني انك مضغة الافواه للقيل والقال

. . . . .

فقال — لا بل ستكونين أرني من كل ذلك

وأخيراً نظر في ساعته وقال - آه لقد مضي علينا الوقت سريعا ونحن لاهيان

فرآها اضطربت واصفر لونها وقالت - ماأسرع ساعات اللقاء . واطول دقائق الفراق

فنظر اليها وقال سيزول كل ذلك ولكن بربك اخبريني كيف نتقابل ثانية . ونتشاكى لوعة الفراق

فقالت سنجتمع كما اجتمعنا اليوم لانك مسبوك الشكل لاينكر عليك احد شكلك الذى انت فيه انك مثل اجمل فتاة حسناء . توشحت بالحسن الخارق للعاده . ومادمت أنيقا بهذا الشكل فزرني كل وقت وفي كل ساعة حتى يحكم الله بيننا والله خير الحاكمين

الفصل الحادى عشر

الاختطاف

وعاد مدحت بك فى غروب هذا اليوم الى بيت دادته حيث غير هندامه ونزع عنه هذه الملابس . وتوجه فورا الى قصره فوجد خادم حبيبته نعمات حاملا اليه رسالة منها . وما كاد يطلع على هذه الرساله حتى التفت الى الخادم بعد ان نفحه بقبضة من

المقود وقال — قل لها انني سأحضر اليها بعد عودتي من العزبه وربما اتغيب هناك نحو شهر

ولما ذهب الخادم تنفس الفتى الصعداء وقال - لا كانت نعمات . ولا كان من عرفني بها . . انني لا استطيع البعد عن سالبة عقلي . وساحرة ابي اسعاد . هي والله الفتاة الوحيدة التي تليق بي وبشرفي

وفي اليوم التالي حوالي الساعة الثالثة بعد الظهر ذهب فارتدى ثيابه النسائية واستاجر عربة اقلته الى منزل اسعاد حيث قضى معها وقتا طويلا وتشاكيا معا لوعة الجوى ثم انه وجدان والدها مشغول البال جدا من جهة ابنته وانه قائم بكل ما يلزمها من جهاز العرس

ولما لم يطق صبرا على وجوده عندها وعدها بانه سيعود اليها في مساء اليوم الثاني

وهكذا عرف كيف يضرب معها موعدا وخرج من القصر وهو في اشد حالات الحزن على نفسه وعلى حبيبته اسعاد التي أحبها وأحبته وعرفها وعرفته . — نعم زوج الى زوجة . وزوجة الى زوج ان لم تفرق بينهما الايام وعاد الى بيت دادته فغير ملابسه وخرج من عندها يقصد قصره وبعد ان مكث هناك

ساعة تفكر صاحبيه فوزى بك وعزيز بك فامر سائق العربة بالاستعداد . ولما عاد السائق يخبره انه على تمام الاستعداد خرج معه فركب العربة فسارت به الخيل تنهب الارض نهبا حتى وصل الى قصر فوزي بك . وهناك قابله صديقه واخذ بعضهما بالاحضان وسأله عن صديقه عزيز بك فقال انه فى قصره

فقال مدحت - لابد من حضوره معنا الآن

ثم نادى على سائق عربته وامره ان يذهب حالا الى قصر عزيز بك وينتظره حتى يعود معه

فأعطى السائق للخيل الاعنة . وهناك وجد عزيز بك في قصره فبلغه رسالة مولاه وانه فى انتظاره

وفي نحو الساعة السابعة كان الاصدقاء الثلاثة في غرفة الاستقبال الكبرى بقصر فوزى بك يتسامران في هذا المساء وبعد ان انتهوا من حديث طويل . ومداعبات لذيذة قال عزيز بك

— ماذا صنعت يامدحت مع صاحبتك اسماء ؟

فقص عليهما قصته معها وما صارت اليه حالتهما . وكيف ان والدها قد هيأ كل معدات الزواج

فقال عزيز بك — الا فاعلم يامدحت انني أريد ان تأسرها عندك فى قصرك

فصاح بهما فوزى بك — لا من العبث ان تعملا هذا العمل انما اذا سمعتما نصيحتى يجب على مدحت بك ان يستولى على عقل اسعاد و يغريها فاذا ما اغراها فقد انتهى الامر وصارت فى قبضة يده . فيرسلها لى مكان قصى لا يعرفه احد . وبذلك نبادر نحن بعقد زواجه عليها

فقال لهما مدحت — انها فتاة عفيفه متسربلة بالفضيلة ولا يمكنها ابدا ان تخرج على والدها وتخلع طاعته أو تعمل عملا يوجب القيل والقال . ويخدش شرفها وشرف اسرتها

فقال عزيز بك — اتركني انا لها وانا اعرف كيف العب بعقلها

فقال — وكيف يمكنك مقابلتها وهى لاتستطيع الخروج من القصر

فتمتم عزيز بك وقال الحيله واحدة وفي امكاني ان البس ملابس فتاة حسناء مثل مالبست انت . والحمد لله فانا اكاد ان اكون مثلك اذا لبسنا (الملايات)

فقال فوزي بك وهو يقهقه من شدة الضحك . يالكما من امردين اوبين شيطانين

وهكذا تقرر الرأى على ذلك وذهبا معا فى الميعاد المحدد

الى منزل دادة مدحت وهناك غيرا ملابسهما فصارا فتاتين من أجمل فتيات عصرهما . ولما خرجا الى الشارع استأجرا عربة قلتهما الى منزل محمد بك والد اسعاد . وما كادت تراهما اسعاد حتى ابتهجت ابتهاجا شديدا وقابلتهما مرحبة بهما وذهبت بهما الى غرفة الاستقبال الكبرى بالطابق الاعلى . ولما انفردوا في هذا المكان قالت لهما اسعاد . هنا يمكننا ان نتكلم بحريه بحيث لايسمعنا احد فانتكلم كيف شئنا

فقال عزيز بك — هل يمكنني بحضرتك يااسعاد هانم ان ان اتكلم بحرية ضمير ؟

اجابت — نعم وربك ياعزيز بك

فقال عزيز — وهل تسمعين كلامى ؟

اجابت — نعم — اذا كان صوابا

فقال — اعلمى ان الموافقة على آراء والدك فى ان يختار لك الخطيب بنفسه ضعف عزيمة منك . . . اننا فى عصر العلم عصر الحريه فى القرن العشرين . . . دعينا من الحريه . وانظري الشرع الشريف تجدي انه من الواجب شرعا استشارة المرأة في أمر زواجها . فكيف تطيعين وانت الفتاة المتعلمه الراقيه ان تقبل نفسك هذه الاهانه

فقال مدحت — والاغرب من ذلك انها عزمت على ان تنتحر في ليلة زفافها

فقال عزيز — وهذا هو عين الجهل والغرور — كيف تفقدين حياتك الشريفه . فيضيع عمرك هدراً

فقالت - وكيف اصنع اذا ؟

اجاب - اضربي هذا الوالد بنفس الصوت الذي ضربك به وواحدة بواحدة . والبادي اظلم

وفي الحال زفرت اسماد زفرة شديدة وظهرت عليها دلائل الحماس

فقالت - اعلم يا عزيز بك انى اردت بعملي هذا ان حافظ على كرامة اسرتي . ولا اخرج عن تقاليد العشيرة

فقال مدحت - لدينا رأي آخر اكثر حفظاً للشرف

فقال عزيز - دعني اتكلم انا حتى تفهم الحسناء ماأريد قوله

ثم نظر الى اسماد وقال - هل تحبين مدحت ؟

فقالت — نعم

فقال - اذا يمكننا ان نقوم بالعمل معا . وخصوصا فان اخينا فوزى بك هو الذى ارسلنا وهو الذى وافق على هذا الرأى

فقالت - وما هو هذا الرأى الذي صممتم عليه ؟

اجاب - قبل ليلة الزفاف وقبل عقد الكتاب على ابن عمك .

نكون نحن الثلاثه على ناصية القصر متفرقين . وما عليك منذ الآن الا ان تجمعي كل مصاغك وحلاك في حقيبة صغيره . واما ماتحتاجين اليه من الملابس الثمينه فضعيه في صره والقيها الينا فنضعها في العربة - اما انت فاغتنمي فرصة انشغال الخدم واخرجي الينا فنركب العربة فتسير بنا الي المكان الذي خصصناه لك . وهناك نعقد عقد زواجك بمدحت بك وبذلك يتأدب والدك . ويرتدع من كان على شاكلته من ابناء ذلك العهد المصطفاوى

فأطرقت اسعاد برأسها الى الارض طويلا كأنها تحاسب ضميرها علي ما تفعل ...... وبعد تردد طويل قالت - لقد قبلت اقتراحكما وسأفعل كل ماتأمراني به

فواعدتها علي المقابلة فى الليلة التاليه تحت القصر وأنها في نهار غد تكون قد انتهت من جمع ماتريد جمعه وتخرج معهما الى حيث الزواج المقدس ... الى حيث تخرج من قيد الاستعباد وقيد الحريه وفي مساء اليوم التالي . وافت اسعاد بوعدها وهناك علي مقربة من مفترق الطرق وقف الاصدقاء الثلاثه . وعلي مقربة من الشارع عربة مدحت بك . فحضر اليهما ولد صغير يحمل صرة صغيرة للملابس القاها بين يدي مدحت فأخذها منه ووضعها في العربة ... وبعد مدة لاتتجاوز العشر دقائق نظروا اسعاد مقبلة

بقوامها السمهري مرتدية بملاءة على الطرز البلدي وسارت نحو العربة بخطوات موزونه وركبت فيها ونزل مدحت بجوارها والصديقان فوزى وعزيز امامهما . وسارت بهما العربه تنهب الارض نهبا الي ناحية مصر القديمه حيث هناك منزل من منازل فوزى بك كان خاليا من السكن . اممل عماره ويه ثم انتهت العماره واصبح المنزل صالحا للسكن

وفى صباح هذا اليوم اعطى مفتاحه لمدحت وأمره ان اذن يرسل اليه مايشاء من الاثاثات والموبيليات

فارسل مدحت جميع مايحتاج اليه المنزل . وارسل بعض الخدم لترتيب المفش والاسرة وماشاكل ذلك

ولما وصلوا الي هذا البيت نزلت اسعاد من العربة وصعدت مع مدحت وصديقيه ـ وما لبثوا غير ساعه حتي حضر مأذون الشرع وفى الحال زوج مدحت بك باسعاد ولما إنتهى من خطبة الزواج المعتاده كتب قسائم الزواج وسلم لكل من العروسين واحده .وذلك بشهادة فوزى بك وعزيز بك

الفصل الثانى عشر

ما بعد الزواج

في هذه الليله التي احتفت فيها اسعاد هانم ... صر والدها كانت (ليلة الحنة) وقد استعد أهل القصر باشم ... لم الزينه وتألقت في جميع الغرف انوار الثريات الكهربائية ... شمل الحظ كل انسا ... ن خادم ومخدوم . وفي نحو العصر تماما حضر العوالم لعمل الزفه اللازمه في ساعة تحنية العروس واستـ ... ـو ند العروس ان يعمل مهرجانا فخما فأتى بجوقة كبيرة من جوقات الطرب وعمل الولائم الهائلة فصار القصر يموج بمن فيه

وهنا صار كل واحد في شغله المطلوب منه . وفي نحو الغروب خرجت اسعاد هانم من غرفتها فصعدت الى الطابق الاعلى ودخلت غرفة صغيرة هناك فارتدت بملاءة بلديه وبرقع بلدي واخذت في يدها حقيبة المجوهرات الخاصة بها ونادت علي خادم لها اعطته السره التي بها ملابسها وقالت له اخرج الى رصيف الشارع وهناك تجد ثلاث أفنديه فسلم هذه السره الى أى واحد منهم — وما كاد الخادم يتخطى السلالم حتي كانت هى قد التفت بالملاءه وخرجت من القصر فوجدت العربة امامها فنزلت فيها تاركة الدار تنعي من

يناها ثم كان ماكان بينها وبين حبيبها واصدقائه وكيف انها صارت زوجة مدحت أمام الله والناس

وبعد العشاء تفقد العوالم (صاحبة الليلة) اسعاد هانم (العروس) فلم يجدنها فأرسلن الخدم فى طلبها فبحثن عنها في جميع الغرف فلم يقفن لها علي أثر. واتصل الخبر بوالدتها فبحثت عنها فلم تجدها فاحتارت حيرة شديده. ووصل الخبر الي مسامع والدها فاغتاظ غيظا شديداً وصار الضياء فى عينه ظلاما. وقام بنفسه فتفقد الغرف غرفة غرفة. ولما لم يجدها ارتاع روعة شديده. واستولى عليه حزن شديد فبات كالملسوع يئن من الالم وخاف الوجل على شرفه ان تدوسه الاقدام وتلوكه الالسن فى كل مقام فلم يشأ ان تبلغ الحادثه فتنشرها الجرائد فصبر على مضض. وسكت لغرض

اما ابن اخيه شفيق فانه صار فى حالة أشبه بحالة المجانين، أخذ علي نفسه عهداً ان ينتقم من اعدائه وهو لا يشك أبداً فى ان خاطف ابنة عمه هو الامدحت بك نجل عبد اللطيف باشا وماذا يصنع معه وهو لا حول له ولا قوه غير ان هناك قوه اخري هي قوه الحب والقيام بالواجب الذى يفرضه شرع الغرام

ومن تلك الساعة اخذ يفكر في وسيله يتمكن بها من الأخذ بالثأر ولو أدى به ذلك الى الاعدام

وكم كانت حالة حزن[illegible] شدة الوقع عليه حتي انه صار في نفسية غير المعهودة فيه . وأخيرا لزم الفراش مدة ايام . صار فى خلالها يبكى وينتحب

اما والده [illegible] فانه صار فى حزن عظيم لا يستطيع ان يتكلم ولا يكلمه [illegible] . ولما لم يجد مايسليه علي هذا المصاب الجلل ارتحل الى عزبة [illegible] يقضي ايامه فى عزله وانفراد

فصل الثالث عشر

الشرور بنى اسماد — البلاغ الجنائى

ففى صباح [illegible] خرج شفيع من بيته يقصد شارع الطاهر على مقربة من [illegible] العباسية . من هناك مرصدفة بجوار قصر مدحت بك . [illegible] عن القصر يتأمل ماحوله و تطلع الى شرفاته بشوق شديد عساه ان يجد ابنه عمه او يقف لها على خبر

ولم يطل [illegible] بضع دقائق حتي أبصر عربة خارجة من القصر فتأمل من بها [illegible] فوقعت عينه على صاحبه مدحت بك وهناك شعر هذا الفتى [illegible] رأسه قد وقف ووجد ان هـذه فرصة سانحة ان ضاعت منه ضاعت كل آماله . . ومن محاسن الصدفه انه وجد عربة سائرة في الطريق فصاح به.

وسارت عربة مدحت بك تتخطى الشوارع ... كأنها تختال بالسرعة اختيالا فقطعت شارع الظاهر فشارع العباسية ومن هنالك عرجت على قصر فوزي بك فنزل مسرعا . وركب الى العربة بجانب مدحت . وسارت في الشارع تقصد منزل فوزي بك . وفعلا نزل مسرعا في العربة واتجهت العربة في طريقها الى مصر القديمة حيث هنالك منزل فوزي بك المقيمة فيه اسماء هانم زوجة مدحت بك

وكانت عربة شفيع تسير خلف عربة الاصدقاء الثلاثة عن كثب . ولما وصلت الى مصر القديمة . أبصر شفيع المنزل وكانت عيناه ترصد في نوافذ هذا البيت وهو بالعربة ينظر ويرى ولا يراه أحد . . فوقع نظره على ابنة عمه أسماء هانم رآها واقفة في شباك البيت المطل على الشارع . عرفها لاول وهلة وتأكد ان يقينه لم يخنث قط

توجه حالا الى مكتب التلغراف . وأرسل التلغراف الآتي الى سعادة والدي محمد بك

احضر حالا الى مصر باسرع ما يمكنك ؟ شفيع

ولما وصل هذا التلغراف الى محمد بك عاد الى مصر مسرعا بقطار المساء . وكان شفيع في انتظاره على محطة مصر ولما وصل

الى المنزل قص عليه شفيع كل ما اتفق له وعرفه انه عثر على سعاد وانها تقيم فى منزل بشارع مصر القديمه وان خاطفها مدحت واصحابه فوزي بك وعزيز بك

فاندهش الرجل وقال — ويحك ياشفيع هل اختطف ابنتى ثلاثة شبان ؟

وفي الحال خرجا ما يقصدان دار النائب العمومى حيث قدما اليه بلاغا

ولما ذهبا الى دار النائب العمومي قدما اليه البلاغ فأشر عليه ليلا . وحوله الى مأمور قسم مصر القديمه

وفي هذه الليله قام حضرة مأمور قسم مصر القديمه بما يجب عليه من العمل بالواجب وذهب إلي المنزل الذى عرف عنه شفيع

فقال المأمور لفوزي ومدحت وعزيز — ان سعادة محمد بك وشفيع افندى — يتهمان سعادتكم بانكم اختطفتم كريمته قبل ليلة زفافها بليله وحجزتموها هنا فى هذا البيت — وتحول هذا البلاغ من النائب العمومى الى قسم مصر القديمه وبصفتي أنا مأمور القسم حضرت لضبط هذه الواقعة

فقال مدحت بك — ان سعاد هانم ابنة سعاده محمد بك الماثل امامنا الآن هي في عصمتي انا مدحت بك وها هى وثيقة الزواج التى تكذب هذا البلاغ تكذيبا باتا

ثم قدم اليه قسيمة عقد الزواج فلما رآها ... محضرا بما ذكر وسلم قسيمة الزواج وهي قسيمة شرعية الى صاحب وخرج المأمور بصحبة من محمد بك الذي عرف ان هؤلاء هم الذين حضروا اليه يخطبوا ابنته فاستتم هو وحمد الله على ان ابنته تزوجت مدحت بسنة الله ورسوله

الفصل الرابع عشر

المكيدة

وفى صباح هذا اليوم خرج شفيق افندى من القصر مبكرا وهو في حالة أشبه بالجنون

ولما تمالت الشمس فى قبة الفلك حضر احد الخدم الى سعادة محمد بك معلنا قدوم مدحت بك . وسيدته اسعاد هانم فخرج الرجل من غرفته بملابس نومه . فوجد ولده بين احضان والدتها تقبلها بشوق وحنان وكأن الخدم قد اصطفوا حولهما يزغردن ويرقصن طربا وحبورا . . . أما هو فأخذ مدحت بين احضانه وهو يقول له — بك أهلا وسهلا يا ابني احمد الله الذى وفقنا الى هذا الحال

ومكث مدحت بين احضان صهره و ... وهو فى حالة سرور لا توصف

وفي المساء أرسل الى صديقيه فوزي بك وعزيز بك فحضرا بعائلتيهما . وهن زهيه هانم وعطيات هانم الاولي زوجة فوزى بك والثانيه زوجة عزيز بك -- وشملت القصر فى هذه الليلة الافراح والحظوظ . وسائر مسرات الحياة . وكان القصر كأنه الجنه الفيحاء وقد صيرته الانوار كأن من فيه فى صباح مشرق كما قال فيه

تتألق الانوار فى جنباته فالليل فيه كالنهار المشمس

(*)

أما شفيع فانه بعد ان خرج من القصر صار كالمخبول لا يستطيع اتيان أي عمل وضاقت الدنيا في عينه حتى صارت أضيق من حلقة الخاتم . وساقته الظروف الى القصر — (قصر عمه بشارع الظاهر) وكم كانت دهشته عظيمه عندما وجد القصر وقد تغير فجأة من حزن عميق . . الي سرور واغتباط وقف مندهشا كالمأخوذ وأخذ يبكي بكاء الاطفال

غير انه تغير فجأة وكأنما تقمصته روح جديدة روح عتى جبار لا يرق ولا يرحم فاضمر السوء لاهل القصر ومن فيه : . . دخل فى سلاملك القصر وهو موقن انه سينتقم شر انتقام وكان السلاملك هو المشرفة عليه غرف القصر . ذات السقوف الخشبية المزخرفه وهناك كمن خلف الاثاثات الكثيرة والدواليب المتعددة

[illegible] الاسبرتو [illegible]

[illegible] على مفروشات الغرف الا [illegible] . وكان السلاملك يحتوي على ستة غرف ما ترك غرفة دون ان يلقى عليها سائل الاسبرتو — ولم يكتف بذلك بل حل صفيحة أخرى من زيت البترول (الغاز) والقى بما فيها على الاثاثات

وكان الخدم والحشم فى هذه الساعة منهمكين في سرورهم وانبساطهم — وكان السلاملك مقفل الابواب لانهم لم يكونوا فى حاجة اليه

أشعل شفيع عودا من ثقاب (كبريت) والقاه على مفروشات الغرفة الاولى . وعمل فى الغرفة المقابلة من الصف الثاني كذلك . ثم انه خرج من الغرف مسرعا بعد ان اغلق باب السلاملك وأخذ المفتاح معه وخرج من القصر لايلوى على شيء ولم ينظره أحد

* * *

وبينما اهل القصر فى حظوظهم الحافلة ومسراتهم الفائقة في ساعة متاخرة من الليل وقد أخذ السرور منهم كل مأخذ — ما يشعرون الا والنار قد التهمت القصر من جميع جهاته ودوي زفيرها فى الهواء كأنها نار السعير فصاح الخدم من شدة الرعب والذعر وتعالت النيران الى الفضاء فصار القصر شعلة نار

طاش عقل القوم في هذه الساعة الرهيبة ساعة الفزع الاكبر فصاروا يتسارعون الى الخروج من هذا القصر الجهنمى الذى امطرهم نارا وشرارا

وهنا وقف الفتيان الثلاثة فحمل كل منهم حبيبته وخرجوا من القصر الى الشارع وهم ينادون محمد بك الذى كان قد حمل زوجته ايضا — وتسارع الخدم الى الخروج . وصار الشارع شديد الاضواء وتعالى صراخ الجيران . وعويل النساء — من البيوت المجاوره حتى صار يصم الآذان

وكم كانت دهشة القوم حينما وقفوا ينظرون الى هذه النيران وهى تلتهم القصر التهاما وما هى طرفة عين حتي تداعت اركان القصر وهوت جدرانه على بعضها وسقطت السقوف فاحدث سقوطها شررا مزعجا يبعث الهلع فى النفوس

وحضر رجال الاسعاف والمطافي فحصروا النار في جهة واحدة وأخذت الطلمبات تصب من أفواهها ماء كافواه القرب وما هى غير ساعة حتي خمدت النيران وعاد الشارع الى ظلام شديد

وهنا أرسلت حكمداريه البوليس شرذمة من عساكر البوليس الخفر تحافظ على بقايا هذا القصر المتهدم الذى كان منذ ساعة كأنه جنة فيحاء

وعاد بعد هذه الكارثة الاصدقاء الثلاثة بزوجاتهم ومعهم محمد بك وزوجته الى قصر مدحت بك حيث رقدوا فيه الى الصباح

الفصل الخامس عشر

الجريمة الهائلة

وكم كان سرور محمد بك عظيما عندما وجد انه والحمد لله في سلامة وعافيه هو واهل بيته. ولم يكن امام هذه الكارثة ينزعج اويرتبك وهنا قال مدحت بك — لا تزعج ايها الوالد الكريم ولا ترتبك ابدا — فانا سأشيد القصر من مالى الخصوصى وأجعله أحسن مما كان

وقال فوزي بك — وانا سأتعهد بآثاثه فأفرشه بجميع المنقولات وقال عزيز بك — وأنا اهب اسماعيل ثلاثة الاف جنيه مساعدة لها وهنا سر الجماعة سرورا عظيما

وبعد بضع أسابيع . وقف المهندسون والمعماريون والعمال على انقاض هذا القصر المتهدم فنقلوا خرائبه وأخذوا يصلحون ما أفسدته النار

هذا ووقف محمد بك بنفسه على عمارة القصر حتي صار على تمامه

(*)

ومكثوا مدة عام كامل فكان القصر فى نظام أبدع مما كان .

وقام فوزي بك بتمهيده فانفق علي مفروشاته نحوا من عشرة الاف جنيه وعاد القوم جميعا في سرور واغتباط وحظوظ وانشراح

....

أما شفيع فانه بعد ان عمل عمليته الجهنمية وجد نفسه وكأنه مرتاح الضمير ... أو كأنه قام بواجب عليه أن يؤديه .. ولم يكن يعتقد ابدا انه فعل ما يستوجب الجزاء الذى يجازى به عمل هذا الرجل الخائن المتلون الذى نبذه نبذ النواة ومال الي فتى غريب ورضي عن ابنته التي دنست شرفه فصمم على الانتقام منه ولو أداه ذلك الى آلة الاعدام

ففى اليوم الاول من عودة محمد بك باسرته الى القصر الجديد . تربص له هذا الوحش الجهنمي فتحفز الي ارتكاب جريمة تقشعر من هولها الابدان . وبينما محمد بك يقابل ضيوفه وزواره ومعه في هذا الاحتفال الفخم زوج ابنته والاصدقاء فوزي بك وعزيز بك

وكان قد حضر الي القصر جماعة من أصدقاء محمد بك يؤدون له واجب التهنئه . وبعد أن مكثوا ساعة في حديث لطيف ومسامره رقيقه . هموا بالانصراف يريدون الخروج من القصر - حيث يمتطون عرباتهم وسياراتهم الفخمة التى حضروا فيها

ولما توسطوا الباب العمومي خروج معهم محمد بك وبجانبه زوج ابنته مدحت بك وما كادت العربات تتحرك بالمسير واذا بطلق ناري دوى في أرجاء الشارع تبعه ثان وثالث وسمع صوت شديد يقول آه

اندهش الزوار ووقفت العربات وسمع الناس صوت جسم قد ارتمي على ارض الشارع

أصابت الرصاصات الاربعه محمد بك فصاح متأوهيا من شدة الصدمه التي أصابه بها عدوه وكانت الرصاصه الثانيه قد أصابت منه مقتلا في القلب

انذهل القوم جميعا — غير ان مدحت بك وقف في ثباته بضع دقائق وكانت عيناه تجول في الفضاء فابصر شبح شفيع والمسدس في يده . . فهجم عليه هجمة بطل شجاع والقى القبض عليه وصاح هذا هو القاتل . هذا هو المجرم . أمسكوا المسدس من يده.

فتراكم الناس عليه وامسكوه وفي الحال قام جماعه الخدم بشد وثاقه . . وامسك مدحت بك المسدس وهو يقول له — والله لو انى اريد الانتقام منك بيد العدالة لافرغت في رأسك ما بقيه من رصاص هذ لمسدس

ونمى الخبر الى قسم الوايلي فحضر مأمور القسم ومعه شرذمة

من عساكر البوليس والقي القبض على المتهم بعد ان كبله بالحديد وسلمه الى صف ضابط وثلاثة جنود . واخذ في عمل المعاينه . وفتح محضرا بذلك . وامر بنقل المصاب الى غرفة داخليه ولما اراد استجوابه وجده قد اسلم الروح

مات محمد بك متأثرا من جراحه من يد فاجر عنيد . هو ابن اخيه الذي غدر به لا لذنب وانما لعقيدة فاسدة في النفس

وحضر الطبيب الشرعي فكشف على المتوفي وبعد ان عمل التقرير اللازم امر بالدفن

وهنا حضرت النيابه وتولت التحقيق وسيق المتهم الى السجن.

وهنا انقلبت الافراح اتراحا . وعاد ايام السرور الى مآتم واحزان ... واراد ربك ان يموت رجل من رجال العمل والنهوض رجل من رجال البسالة والاقدام

ولما ...انتهت ايام الحداد . . . صدرت جرائد مصر مسطرة على صفحاتها خبر حادثة محمد بك تحت عنوان

(حادثة العباسيه المؤلمه)

واخذت تسرد الدعوي بتفاصيلها للرأي العام . وذكرت مذكرة النيابه واحالة المتهم شفيع افندى على قاضي الاحاله توطئة لتقديمه الى محكمة الجنايات

الفصل السادس عشر

الهروب من السجن

وبينما كان الجند يسيرون بشفيق الى محكمة الجنايات ادعى انه مريض وانه لا يستطيع ان يقف —وكان قد تعاطي مادة سامة جعلته في حالة يرثي له

اضطرت المحكمة الي ارساله الى الطبيب الشرعى الذي كشف عليه فوجده مسموما. وهنا ابتدأت النيابة فى تحقيق جديد مع رجال البوليس عن كيفية وصول هذه المادة السامه اليه

وهنا ارسلوه الى مستشفى السجن . وسهي عليهم ان يفتشوه ليروا ما يحمل بين طيات ثيابه — غير انه بعد ايام زال عنه الخطر وأصبح سليما مما اصابه وهنا أخذ الشاب الداهيه يفكر فى عمل خطير من الاعمال الزعجة [illegible] من هولها [illegible] ان حياته صارت ملطخة بالعار فأراد ان يسود صحائف هذه الأيام

سولت له نفسه أن يغدر بسجانه وان يرتدى ثيابه ويخرج من باب السجن الي حيث يشم هواء الحريه وهنالك ينتقم [illegible] شر انتقام

ففي مساء ليلة — قبل غلق السجن بساعة تقريبا دخل عليه

التمورجي المخصص له - ولما رآه قال له ياعزيزى هل لي ان افضى اليك بسر خطير تفتى منه الى الابد . ألا فاعلم انى غني واني اعلم ان حياتي اصبحت عدما . وان الموت لابد منه وهنا يمكننى ان اعطيك صرة من النقود فيها ثلاثة آلاف جنيه وضعتها فى منزلي فسأعطيك ورقة بدخول المنزل وهناك أصف لك مكان الصرة فتأخذها . شرطا تكرم مثواى طول المدة التى أنا فيها هنا وتصرف على وانا في السجن مائة جنيها منها

فابتهج التمرجى من ذلك وقال له تأكد ياسيدي باني سأقوم لك بكل الواجب

وفعلا قال له هات دواة وقلما ريثما اكتب لك الورقة . فذهب التمرجي الى غرفة المكتب وأتاه بالدواة والورقة ولما اخذ ليكتب وضع في الدواة مادة غريبة وقال له شم الحبر - انى أراه غير صالح للكتابة - وما كاد التمرجى يشم الحبر حتى عطس كثيراً فقام اليه شفيع بقطعة من قطن وضعها على انفه وقال له شم هذه القطنة تزول العطاس . وماكاد يشم القطنة حتى سقط على الارض لا يبدي حراكا فقام اليه فنزع عنه ثيابه . والبسه الثياب التى يلبسها هو ثم أرقده على السرير واغلق الباب ولما دق جرس الخروج وقف فى الطابور وخرج من باب السجن ولم يشك احد انه هو التمرجي

ولما صار هذا الوحش حرا ذهب توا الى بيته فنزع الاقفال عنه ودخل الي دولاب ففتحه فاخذ صرة من المال بعدان غير ثياب التمرجي وارتدى بذلة من ملابسه . وبعدان صار في حالة يأمن بها على نفسه تناول مسدسا حشاه بستة رصاصات ووضعه في جيبه وخرج من البيت بعد ان اغلق الباب كما كان

الفصل السابع عشر

جريمة ثانيه

وفي هذه الليلة الرهيبة ليلة ٢٧ مارس كان شفيع في طريق العباسيه يقصد منزل مدحت وهناك كمن شفيع عند الباب مستعدا للجريمة غير هياب ولا وجل . وبينما هو كذلك واذا مدحت بك عائدا الى القصر في عربته . وما كاد يتخطى باب القصر حتى دوى طلق ناري أصابه في ذراعه

وكان السائق قد لمح شفيع فنزل بأسرع من لمح البصر وامسك به فما كان من هذا الداهية الا انه صوب المسدس الى بطنه واطلق عليه جملة طلقات اصابته جميعا

مات يد السائق في امساك قاتل سيده وقاتله وصار يصرخ أغيثوني الجاني . القاتل . المجرم . وهنا استفاق مدحت من ذهوله

وذهب لمساعده خادمه فامسكه بيده اليسرى رغما مما هو فيه من شدة الالم وكانت الرصاصة قد أصابته في ذراعه اصابة خطره

وبعد ثلاثة أشهر مرت على حصول هذه الحادثة كان مدحت بك قد شفي من جراحه غير ان هذه الاصابة احدثت في ذراعه عاهة مستديمه ـ ولكنه حمد الله عز وجل على سلامته

وفي غضون هذه المدة انعقدت محكمة الجنايات بسراي المحكمه بباب الخلق بمصر

وجيء بالمتهم مكبلا بالقيود والاغلال

وبعد سماع أقوال النيابة واثباتاتها الذي كان في غاية الاعتدال واتهامها هذا المجرم بكل وسائل الاجرام مفندة جرائمه واعماله والخسائر التي أصابت عمه وزوج ابنته

ورغما عن قوة الدفاع وما قامت به فطاحل المحامين لم يجد ذلك فتيلا

وبعد ان استمرت المحاكمه مدة أربعة أيام صدر الحكم اخيرا بالاعدام مع الزام المحكوم عليه بدفع تعويض مالى قدره عشرة آلاف جنيه لابنة الفقيد اسعاد هانم

وعاد المجرم المحكوم عليه الى سجنه حيث يلاقي جزاء ما صنعت يداه

وكانت تظهر عليه لوائح الازدراء كأنه غير حافل بالموت ولا بكل ما يجري حوله

وبعد النقض والابرام . وافقت المحكمه علي الاعدام فأعدم شنقا في سجنه . وصدرت الجرائد معلنة تنفيذ حكم الاعدام

الفصل الثامن عشر

نهاية السعاده

ولما علمت إسعاد هانم من زوجها مدحت بك خبر اعدام ابن عمها شفيع سرت سرورا لامزيد عليه واطمأن بالها على زوجها وحبيبها مدحت

وهنا استطاع مدحت بك ان يعيش مع زوجته اسعاد هانم التى أحبها أجمل حب وضم اليها والدتها زوجة محمد بك فصارت البنت وامها فى قصر واحد

* * *

وكانت هذه الحوادث المفزعة قد أثرت في نفسية مدحت بك تأثيرا سيئا لذلك اشار عليه الاطباء بمغادرة القطر المصرى الى ممالك أوربا وهناك من تأثير المناظر الغريبة وركوب البحر والنزهة الدائمة حيث المشاهد الفخمة تذهب عنه مافي نفسه

فاطاع هذه الاشارة وتهيأ للسفر . . وفي ليلة ١٥ يوليو سنة ١٩١٣ أقام له صديقاه فوزي بك وعزيز بك حفلة وداع شيقة كانت في غاية الابداع

وفي صباح هذا اليوم كانت محطة مصر مكتظة بجمهور عظيم من الناس قد احتشدوا لوداع مدحت بك وعائلته . وكان المودعون فوزي بك واسرته وعزيز بك واسرته . وفريق من الاعيان والوجهاء بعائلاتهم

وغادر مدحت بك مدينة القاهرة بقطار الساعة الحادية عشر صباحا يقصد مدينة الاسكندريه ـ وبات بالثغر تلك الليلة ليلة ١٦ يوليو ـ وفي صباح ١٧ يوليو بارح الثغر على الباخرة ايديانا الانجليزية وبعد ان حجز له ولاسرته غرفة خاصة وللخدم غرفة أخري صعد مع زوجته وولدتها الي ظهر الباخرة للتفرج على مناظر الثغر الجميلة . وفي نحو الساعة الاولي بعد منتصف الليل اقلعت الباخره تتهادي على سطح الماء وسارت باسم الله مجراها . وكان مدحت بك واسرته قد آلمهم التعب فناموا نوما هادئا

وأصبح الصباح فاستيقظوا على صوت البحاره وصوت آلة الباخره . وسارت المركب طول هذا اليوم في ريح طيبة الى المساء . . وبات الركاب على احسن حال. وفي منتصف اليوم التالى تلبد الافق بضباب عظيم . وهبت عليه عاصفة شديده . وصارت الدنيا ليلا حالكا لا اثر للنور فيه . وسارت الباخرة تميل يمين فيها ثم تصعد فى موج كالجبال . وتمود فتهوى بهم في منحدرات سحيقه

فيخال لهم انهم غير ناجحون وانهم لاشك ميتون

وكانت اسعاد هانم متأبطة بذراعيها على حبيبها وبجانبها والدتها وهى تقول اذا متنا نموت معا واذا كتب الله لنا السلامه عشنا جميعا أما والدتها فكانت تقول لا كانت اوربا . ولا كانت استشاره الاطباء. فكان مدحت بك وزوجته يضحكان عليها

ونظر الله الى عباده بلطفه الخفي فدفع عنهم السوء فهدأت العواصف . وانجابت الغيوم وطلعت الشمس المشرقة . . وصار البحر صافيا هادئا جميلا . وفى صباح اليوم الثالث لاحت لهم جزيرة كريد . وكان الغمام المتلبد فى السماء وأمواج البحر المزبده تمنعان النظر من اكتشافها . ولاحت لهم من الجهة اليمنى رأس جبل أيدا الشامخ الذى كان يعلو على جبال الجزيره، ولاحت لهم تدريجيا حقائق الشطوط والبرور على شكل مدرج بعضه فوق بعض . ولم تكن الباخره لتقف على هذه الميناء بل استمرت في سيرها تقصد المدن الايطاليه — واعتدل الريح حتى اليوم الرابع فظهرت لهم (جبال كالبرو) الموضوع فيها فنارا عظيما . .

واعجب ما رآه مدحت بك ان الطيور كانت تلازم الباخره أثناء سيرها وتحوم حولها وتقف على صواريها وهى تغرد تغريدا لطيفا

وفى اليوم الخامس لاح لهم جبل اتينا يتصاعد منه الدخان

وكان يبلغ ارتفاعه نحوا من ١٠٣٨٣ قدما وقد التهب هذا الجبل نحو سبعة وسبعين مرة منها قبل المسيح والباقي بعد المسيح وبالقرب منه مدينة كاتانيا وسكانها ٤٠٠٠٠ نفس وقد تهدمت هذه المدينه مرارا عديدة بسبب الزلازل والبراكين . ولكنها في وقت وجيز تعود الى ما كانت عليه من المظهر الجميل نظرا لاهميتها . وصلاحة نقطتها

وبعد ذلك مرت الباخرة فى مضيق مسينا ورست أخيرا فى مياه (مدينة مسينا) المبنية فى سفح جبل مشحون بالنبات وظهرت لهم استحكامات هذه المدينة وعلى الخصوص طوابى سلفادور . . واللانترنا وغيرهما مما يدل على انها مدينة حربية بحرية — وكان حوض الميناء عباره عن بحر طويل عريض تدخل فيه السفن من مضيق جميل وتستمر السفن داخله حتى تلاصق الشاطىء الصخرى المرصف بالاحجار الجسيمة المتساوية التي تزيد فى منظر المدينة وبهجتها

وما كادت الباخرة ترسو على الميناء حتى حضر الطبيب وأخذ في الكشف على الركاب وبعد الكشف سمح لمن شاء بالنزول الى البر . ولقد كان مدحت بك اول من بادر الى النزول مع اسرته فتنزه بضع ساعات مارا فى أرجاء هـذه المدينة . . وقد أعجبه

بنظامها . كما اندهشت من حسن مناظرها اسعاد ووالدتها

وبعد ان تفرجوا على (مدينةمسينا) عا.. لى الباخرة حيث سارت تمخر عباب الماء تقصد (مدينة نابلي) وصلوها بعد اربع ساعات مرت الباخره بعده جزائر كلها تستلفت الانظار والاعجب من ذلك وجود عالم لايحصى عددهم الا الله ... ن هذه الجبال النارية التي ربما في يوم من الايام تقذفهم بنيرانها الملتهبة وما زالت الباخرة تمر بركابها حول مناظر تدهش الناظر وتشرح الخاطر وبعد يوم وليلة وصلت الباخره الى مدينة (ابلى) ورست الباخره . ثم خرج الركاب الى البر اما مدحت ... فانه ... بقلم البسابورتات باسرته ثم ركبوا عربة اقلتهم الى لوكاندة اوربا . وهي احسن فندق في هذه المدينه بسبب وجودها بجوار القصر الملوكى . وتياترو سان كارلو . وكم كانت دهشتهم عظيمه حين نظروا الى مناظر هذه المدينة التي تتألف منازلها من ستة الى ثمانية طبقات وهي في غاية المتانة محاطة بجبال مشحونة بالنباتات وبأطرافها واكنافها صفوف القرى المتقنة البنيان والمدن الظريفة المشيدة على أبدع شكل واحسن زي

وبعد ان نالوا بغيتهم من النزهة والفرجة في هده المدينة قصدوا مدينة روما

وكانت تبعد عن نابولي بمسافه ٢٦١ كيلو مترا فركبوا السكه الحديد . ومعهم جميع حاشيتهم وامتعتهم . وكان القطار يمر بهم على مناظر تستلفت الناظر . وتلعب بالخاطر ولما وصلوا الى مدينة روما وجدوا انفسهم فى حيره من جمال المناظر فمكثوا بهذه المدينة نحوا من شهر يتفرجون ويتنزهون حتي وقفوا على اغلب آثارها وزاروا أخيرا قصر الفاتيكان . وكل مايدخل تحت نطاق الفرجة والنزهة وبعد أن انتهوا من هذه المدينة قصدوا (مدينة) فرنسا

وبعد النزهة فيها بارحوها يقصدون (مدينتي بولونيا نفينيسيا) وحدث ولا حرج عن جمال المناظر . التي تدهش الناظر – وبعد ثلاثة أيام بارحوها الي (مدينة ميلانو) ثم مدينة تورينو . ثم مدينة جينوفا ثم مدينة مارسيليا ثم بارحوها الى مدينة ليون بالسكة الحديديه الفرنساويه وبمناسبة المسافه القريبه من ليون الي مدينه جنفيرا قاعدة مملكه سويسرا فقد عرجوا عليها ليقضوا غايتهم من النزهة فيها – ومن هناك ذهبوا رأسا الى باريس وناهيك ما بباريس من جمال المناظر .

وانتقلوا منها الي مدينه بولونيا الكائنه على شاطئ بحر المانش وفي يوم ١٥ اكتوبر قصدوا العوده الي مصر عاصمة وادي النيل السعيد

وكانت كل هذه المناظر التي شاهدوها كانية لزوال كل هم وغم

الخاتمه

ولما وصل مصر قابلته الوفود من كل فج وفرح اخوانه بعوده سالما وفي هذه الحالة استطاع مدحت ان يعيش بهناء وراحة بال بين زوجته ووالدتها — وكان والده قد توفي بعد عودته بايام فضم أملاك زوجته الى املاكه

ورزقه الله بولدين وابنة فوزع عليهم هذه الاملاك وكانت عهود الوفاء والاخلاص قد صارت على مايرام بين الاصدقاء الثلاثة (مدحت وفوزي وعزيز)

وكانت نعمات المومس عشيقة مدحت حضرت اليه في حالة يرثي لها من الضنك والهوان . فصدرت اوامره بان يرتب لها عشر جنيهات تتناولها شهريا مادامت على قيد الحياة

واخذ مدحت على نفسه عهدا ان لا يخون زوجته وانه لايحيد عن واجب الاستقامة والشرف

وعاشوا في مسرات وحظوظ وهذا آخر العهد بهم

تمت

بعض مطبوعات المكتبة الملوكية بباب الخلق امام محكمة الاستئناف نمرة ٢٨٨ بمصر

ص	
١	غريم نابليون
١	الجريمه
١	بلقيس
١	فتاة الاندلس
١	جنون الحب
٥	عشيق الملكة
٢	سافو
٢	بدور
٢	نيرون الطاغيه
٤	فاجعة دوق كنز
٢	فظائع الحرب العظمى
٢	مجموعه اغانى للآنسه ام كلثوم
٢	« « لمحمد عبد الوهاب
٢	« « ومواويل العربى الكبير
١	مجموعه كبيره لابراهيم حكله
٢	« منالوجات الفقهاء الشارلستون
٢	مجموعة الفقهاء الثلاثة الحستلكات
٢	« اغانى وطقاطيق السيدة منيره
٢	لويس دى ناستون
٢	[illegible] الثلاثة
٢	الاغانى المصرية الحديثه
٢	سارق العفاف
٤	مدحات التسع والثلاثون
٣	الجواسيس الثلاثه
٢	مجد الحسام جزءان
٤	المومس الطاهره
٢	زينب
٣	غرام العذارى

ص	
٥	الفرسان الثلاثه جزأن
٣	ابن سيركوف
٣	ذات القناع
٣	عصابة النجمه الحمراء
٤	الروايات العشرون
١	نغمات هايم تاليف محمد حبيب
٢	الشهوة العابثه
٢	اهوال الغرام
١	[illegible] ٧ اجزاء
٥	خاتمة فوستا
١	سر الزوجه
٢	فاجعة قصر ميشلان
٢	ابراهام لنكولن
٤	شرلوك هولمز
١	رصاصه فى الظلام
١	شبح الماضى
مليم	
٥	عاقبة [illegible]
٥	القاتل
٥	الجزيرة المسحوره
٥	امير البحار
٥	اليهودى المرابى
٥	الارث المغتصب
٥	الراعى المتنكر
٥	قاتل [illegible]
٥	الشهيد
٥	الماء المسحور
٥	[illegible]